مقدمة

قام موسي بتدوين هذا الكتاب بوحي من الروح القدس فيما بين ١٤٢٠ – ١٢٢٠ قبل الميلاد ليكون سجلاً إلهيًا ووثيقة مقدسة عن كيفية نشوء العالم. لفظة تكوين في العبرانية تعني الأصل أو البدء. فهذا الكتاب يؤكد أن اللَّه هو خالق الكون ومنه الإنسان الذي وضعه اللَّه في أفضل مكان وأحاطه بخير الأجواء والظروف.

يستعرض بعد هذا كيفية دخول الخطية في حياة الإنسان وما أسفرت عنه من كوارث كما يبين كيف رسم اللَّه خطة خلاص الإنسان الضائع. كما وصف السفر بداية التاريخ البشري ونشوء الفنون والحِرَف واللهجات واللغات ومواطن الأمم الأصلية. يتركز بعد ذلك الحديث حول بداية التاريخ العبراني بدعوة اللَّه لإبراهيم وابنه اسحق وحفيده يعقوب، ويُختم السفر بقصة بيع يوسف وارتقاؤه في مصر وانتقال يعقوب وكل عائلته للسُكني مع يوسف هناك ليكون قريبًا منه.

تتمحور الفكرة الرئيسية حول رحمة اللَّه، فهو وقد خلق كل شيء علي افضل صورة ثم دخلت الخطية لتشوه جمال إبداعه، فإنه رغمًا عن ذلك سعي اللَّه لخلاص الإنسان. كما لا يفوتنا بالروح القدس ملاحظة سيادة اللَّه المطلقة وكيف يُسَمِّها التاريخ لصالح شعبه المؤمن به في كل أمة وقبيلة ولسان.

تك ١: ١-٣

هو يُعرف بسفر البدايات أو اصل الأمور وبدايتها مثل الخليقة – الجنس البشري – دخول الخطية وبالتالي الموت – نشأة الأمم والأجناس – اختراع الفنون... فإن كان سفر التكوين هو أول أسفار الكتاب، وهو سفر بداية كل شيء، فإن سفر الرؤيا آخر الأسفار هو سفر نهاية كل شيء.

التكوين	الرؤيا
- خلق السموات والأرض	- سماء جديدة وارض جديدة
- فردوس أرضي فُقِدَ بالخطية	- فردوس مُستَعاد بكفارة المسيح
- الإنسان الأول وزوجته	- الإنسان الثاني وعروسه
- الإنسان يسود علي مخلوقات اللَّه	- الإنسان يسود علي عالم تم تنقيته من المعاثر
- مدينة الإنسان (حنوك)	- مدينة اللَّه (أورشليم الجديدة)
- صعود بابل	- هلاك بابل

موسي كاتب السفر هو كليم اللَّه معناه "وَلَدْ أو مُنتَشَل" من الماء، وهو قائد للأمة العبرانية.

سبعة حقائق في الآية الأولي:

(١) اللَّه موجود قبل الخليقة «في بدء».

(٢) اللَّه متميز عن خليقته فليس الاثنان شيئًا واحدًا.

(٣) اللَّه هو الخالق ونري الأقنوم الفعال في الخلق هو أقنوم الابن «فيه خُلق الكل.. ما يُري وما لا يُري.. الكل به وله قد خُلق» فهو المصمم «به» وما خلقه هو لمجده «وله».

(٤) اتساع خليقة اللَّه المُسماة العالمين The world ″السموات والأرض″.

(٥) العالمين أتقنت بكلمة اللَّه، فاللَّه بالحكمة أتقن ما خلق.

(٦) اللَّه صنع العالمين من لا شيء. أوجد ما يُري من العدم «قال فكان هو أمر فصار»

(٧) الكتاب وحده هو الذي يعطي أصدق وأدق الحقائق عن هذا الكون.

الفجوة الزمنية تكلمنا عنها الآية الثانية «وكانت الأرض خربة وخالية وعلي وجه الغمر ظلمة» فبما أن اللَّه لا يمكن أن يخلق شيئًا خربًا يرجح معظم المفسرين أن حادثًا جللاً تسبب في ذلك والأغلب هي حادثة سقوط الشيطان.

تك ١: ٢-٢٥

سفر التكوين يغطي ٢١٩٥ سنة من جملة ٤٠٠٠ سنة هي عمر الإنسان علي الأرض قبل ميلاد المسيح. كما يغطي السفر من الأصحاح الأول حتي الحادي عشر أربعة حوادث هي: حادثة الخلق – السقوط – الطوفان – وبلبلة الألسن. ثم يغطي من الأصحاح الثاني عشر حتي الأصحاح الخمسون أربعة شخصيات رئيسية هي: إبراهيم – اسحق – يعقوب – ويوسف.

أيام الخليقة تتفق مع ما أراده اللَّه للإنسان وهو يعيد ترتيب ما أصاب الأرض من خراب، ويسردها الروح القدس في صورة نبوات كالآتي:

نبوة اليوم الأول في الخلق: هو يوم إشراق النور علي ارض خربة أغرقة في الغمر والظلام **رمز** دور إشراق نور كلمة الوعد علي جنس بشري ساقط غارق في الشر والجهل. هذا النور ما هو إلا الكلمة الأزلي ربنا يسوع المسيح الذي قال «أنا هو نور العالم».

نبوة اليوم الثاني في الخلق: يوم إقامة الجلد للفصل بين مياه ومياه **رمز** دور إقامة حكومة الإنسان للفصل والحكم بين الإنسان الساقط وأخيه.

نبوة اليوم الثالث في الخلق: يوم إخراج الأرض من المياه **رمز** دور إفراز إسرائيل للَّه بين الأمم.

نبوة اليوم الرابع في الخلق: يوم الشمس والقمر والنجوم في جلد السماء **رمز** دور المسيح والكنيسة إجمالاً والمسيحيين إفرادًا كأنوار سماوية.

نبوة اليوم الخامس في الخلق: يوم الوحوش البحرية والسماء **رمز** دور بحر الضيق ووحوش الضيق وإنتاج الضيق لإسرائيل والعالم.

نبوة اليوم السادس في الخلق: يوم خلق النفس من الأرض وآدم وامرأته مخلوقين علي صورة اللَّه يحكمان علي ذوات الأنفس الحية وعلي الأرض **رمز** دور إسرائيل يحيا في أرضه، والمسيح آدم الأخير صورة اللَّه غير المنظور وعروسه التي علي صورته حواء الأخيرة يحكمان علي إسرائيل وكل العالم.

نبوة اليوم السابع: يوم سبت اللَّه وراحته **رمز** الأبدية السعيدة.

تك ١: ٢٦-٣١

إن غاية اللَّه من كتابة الوحي هو أن يحضر لنفسه أناسًا تسجد له لأنها تصدق كلامه ولم تكن غايته أن يخلق فلاسفة تبحث وراء كلمته وتفتش عن مدي صدقها، فالعلماء يبحثون في أمر خليقة اللَّه الكامل متناسين محدوديتهم، فعلينا بالصمت والسجود حينما يقول الكتاب: «خلق اللَّه».

قال اللَّه – دعا اللَّه – خلق اللَّه – عمل اللَّه – رأي اللَّه – جعل اللَّه.

سبعة نقاط عن خلق الإنسان:

(١) نقف تقديرًا أمام القول: «قال اللَّه نعمل الإنسان» فهو اللَّه الواحد الجامع بأقانيمه الثلاثة يعمل في وحدانية جامعة.

(٢) الإنسان: ويقصد به آدم في العبرية. نفهم أنه أول كائن بشري أوجده اللَّه علي الأرض «صار الإنسان آدم الأول نفسًا حية» (١كو ١٥: ٤٥) وهذا الحق يدحض فكر نظرية التطور التي افترضت وجود كائنات حية قبل آدم وما آدم إلا تطور من أطوار قرد بدليل تشابه الغرائز.

(٣) صورتنا: فاللَّه جعل الإنسان ممثل له في كل هذه الخليقة.

(٤) كشبهنا: فالإنسان علي شبه اللَّه هو كائن روحي (يعقل ويفكر وينطق) أما الحيوان فهو جسد ونفس فقط، فعلينا بالحذر من أن نهين أو نشتم أحد لأنه إنما هو علي شبه اللَّه.

(٥) فيتسلطون: أي آدم وحواء معًا وهم متساوون في نظر اللَّه. ومن الجدير بالذكر أن مزمور ٨ المتكلم عن الإنسان الثاني أنه هو فقط الذي تسلط علي سمك البحر، الأمر الذي لم يذكر عنه الكتاب شيء عن أحد تسلط علي سمك البحر.

(٦) ذكرًا وأنثي خلقهم: أي أن الجنس البشري يتكون من هذين القطبين كنواة للتكاثر أي جنسين مختلفين هما أساس تكون الأسر والعائلات (وليس المثليين).

(٧) وباركهم اللَّه: هذه البركة مرتبطة بوظيفة وهي الإثمار والتسلط علي الكائنات.

بصمات اللَّه ظاهرة في أول صفحة من الكتاب، فقد ورد ذكر اسم «اللَّه» ٣٥ مرة.

تك١

«في البدء خلق اللَّه السماوات والأرض» (١). هذا العدد هو بمثابة إخطار وعنوان عام ورئيسي للإنسان حتي ما يعرف ما صنع اللَّه خالقًا، فالسموات بالجمع تصور اتساع خليقة اللَّه التي لا جدوي للإنسان المحدود من وراء البحث فيها ليعرف مداها إلا بمقدار ما يسمح اللَّه بالإعلان عنه في كلمته. الأرض كانت موجودة منذ ذلك البدء لكن أمرًا وحدثًا جلل وقع فأصابها بالتشويش وأرجح الظن أن هذا الأمر هو سقوط الشيطان.

«وكانت الأرض خربة وخالية وعلي وجه الغمر ظلمة وروح اللَّه يرف علي وجه المياه» (٢). كانت الأرض مغلفة تمامًا بالمياه، الأمر الذي أبقاها محبوسة في الظلام، وإزاء هذا الوضع الذي صارت عليه إحدى خليقة اللَّه من الخراب والتشويش، كان روح اللَّه في حالة شغف لإعادة جمالها من جديد، وكان يحوم ويدور ويرف عليها.

ابتدأ الرب إعادة ترتيب الأرض، فأوجد بها نورًا ليقشع ظلمتها، وهذا الأمر ليس بمستغرب علي اللَّه الذي هو نور ويسكن في نور لا يُدني منه أن يقول: «ليكن نور. فكان نور». لا يفوتنا ملاحظة انطباق هذا علي إشراق المسيح بنوره وهو طبقة الهواء التي تطير الطيور فيها، فكانت مياه السحب فوق الجلد ومياه البحار تحت الجلد وتسمي الجلد بالسماء. وقال اللَّه: «لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد

ولتظهر اليابسة» (٩). وهكذا أخرج اللَّه الأرض من مخبئها وتهيئت لاستقبال الحياة التي سيزرع اللَّه مقوماتها فيها «ودعا اللَّه اليابسة أرضًا ومجتمع المياه دعاه بحارا» (١٠). أمر اللَّه الأرض أن تنبت زرعًا وعشبًا وبقلاً وشجرًا كل لجنسه يثمر ثمرًا كجنسه حتي يكون غذاء لما سوف يوجده عليها من مخلوقات مختلفة، وهكذا يكون قد جهز وأعد احتياجات خليقته مسبقًا.

بعد ذلك أوجد اللَّه الأداة التي بها يحكم النهار وسماه النور الأكبر، والأداة التي يحكم بها الليل، وسماه النور الأصغر، وسماهما النورين العظيمين كما أوجد النجوم أيضًا في جلد السماء. إن النور الأكبر ما هو إلا رمز للمسيح نفسه والذي منه يستمد النور الأصغر لمعانه الذي هو المؤمنين إذ هم يعكسون ما يقع عليهم من نوره علي كل من حولهم «أنتم نور العالم. ليضيء هكذا نوركم قدام الناس»، وهكذا أرسل الرب تلاميذه إلى العالم قائلاً لهم «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها».

صارت الأرض الآن مستعدة لاستقبال من سُرَّ اللَّه بأن يجعلهم يعيشون عليها «فخلق اللَّه التنانين العظام... وكل طائر ذي جناح كجنسه» (٢١) بعدما قال «لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض...» (٢٠). قال أيضًا: «لتخرج الأرض ذوات انفس حية

كجنسها: بهائم ودبابات ووحوش ارض كأجناسها» (٢٤، ٢٥). علمًا بأن الوحوش لم تأخذ صفتها المتوحشة إلا بعد دخول الخطية.

يختم الرب خليقته في اليوم السادس بعمل الإنسان الذي هو محور مشورات ومشروع اللَّه حيث يتبقى أن يملأ بيته منهم، ولكن وهم مشابهين صورة ابنه الذي سيرسله إليهم في ملئ الزمان. هذا يعطينا -------- ص ٣ أن اللَّه عمل الإنسان علي صورته كشبهه لهذا السبب. هكذا الإنسان هو الكائن الوحيد المخلوق الذي قصد اللَّه أن يعطيه روحًا يتميز بها عن سائر المخلوقات التي هي نفس وجسد فقط. فإن الروح التي في الإنسان هي معه نسمة القدير «ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسًا حية» (تك ٢: ٧). وهي التي تعطيه خلودًا لأن اللَّه أراد له ذلك حتي ما يتحقق قوله «ولذاته مع بني آدم».

حدد اللَّه العشب ليكون طعام الحيوانات والدبابات كما جعل كل بقل وكل شجرة يثمران ثمرًا كجنسهما حتي يكون طعامًا للإنسان.

مكتوب أن اللَّه كان يري كل ما يعمله في حينه أنه «حسن»، ولكنه بعد اليوم السادس حينما أكمل كل العمل فقد رآه في مجمله أنه «حسن جدًا» وهكذا «استراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل» (تك ٢: ٢). بمعني أنه استراح لما عمله ورضي عنه، فاللَّه لا يكل ولا ينام ولا ينعس ولا يعي.

تك ٢

«فأكملت السموات والأرض وكل جندها» (١) أي أنه لم يعد هناك في مشيئة اللَّه ما يخلقه بعد، لكنه سيعمل علي جعلها تتكاثر دون خلق جديد. وكلمة جندها يقصد بها الملائكة أو شعب اللَّه أو أفلاك وكواكب السماء كل بحسب ما يُفهم من قرينته «وفرغ اللَّه في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع...» (٢) أنهي اللَّه عمله الذي عَمِل خالقًا، وإذ رأي أن ذلك حسن جدًا صار في حالة الرضي والاستقرار، فليس المعني أنه تعب فاستراح، لأن اللَّه لا يكل ولا يعيا. يُري أن الأعداد الثلاثة الأولي من أصحاح ٢ تكون أنسب أن تُذَيِّل الأصحاح الأول، كما لو كانت نهايته «هذه مبادئ... يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات» (٤). تكلم الأصحاح الأول عن علاقة اللَّه بالعالم كالخالق الجبار استخدم لفظ «الاله» (إيلوهيم» أي صاحب القوة والقدرة. أما في الأصحاح الثاني فهو في علاقة واهتمام بالإنسان كاللَّه المحب فاستخدم لفظ «الرب الاله» (يهوه إيلوهيم) الأمر الذي يعني أن الرب هو للإنسان كل شيء وكل ما يحتاجه الإنسان هو في الرب الاله - «وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسا حية» (٧). فيا ليتنا نعي قيمتنا أمام اللَّه، ولولا أن الرب نفخ فيه نسمة الحياة لما صار خالدًا، فهذه النفخة هي الروح التي تَمَيَّزَ الإنسان بها عن الحيوانات أي أن اللَّه أودع في آدم خاصية الحياة الخالدة - «وغرس الرب الإله جنة في عدن... وشجرة الحياة في وسط

الجنة وشجرة معرفة الخير والشر» (٨، ٩). محبة اللَّه وأبوته عملت للإنسان جنة ليعيش فيها ويعملها ويحفظها، وكلمة عدن تعني بهجة أو نعيم، فغرض اللَّه للإنسان أن يحيا في فرح وحرية، ودليل هذه الحرية أن الرب وضع له في وسط شجر الجنة شجرتان ليختار بينهما بحرية، وأمانة الرب اقتضت أن يحذره ألا يختار الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، وكان هذا اختبار لآدم في طاعة وصية اللَّه - «وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك... موتا تموت» (١٧). مع الحرية هناك وصية وشرط الاستمرار في الحياة أو يختار الشجرة الأخرى التي ستجعله عبدًا لإرادته التي صارت تعرف الشر. ونتيجة عدم طاعة الوصية هي الموت، إنما مراحم الرب اقتضت، بعدما أكل آدم من الشجرة المنهي عنها وسقط، أن يقيم الرب حراسة علي شجرة الحياة حتي لا يصل الهيا آدم الساقط ويحيا إلى الأبد في حالة السقوط لأن الرب كان مُعدًا طريقًا للنجاة في ذاك الذي هو آدم الأخير الذي بواسطته سوف يبرر اللَّه الفاجر وهكذا لا يكون طريق النجاة قد أُغلق أمام كل من يتوب ويحتمي في ستر عمل ربنا يسوع الفادي الذي هو شجرة الحياة. هكذا سقط آدم الأول بعدما كان في حالة البراءة، وأما نحن بواسطة إطاعتنا للَّه في ابنه يسوع المسيح فقد دُعينا من حالة ساقطة فلنعظم نعمة اللَّه «وقال الرب الإله: «ليس جيدا أن يكون آدم وحده فأصنع له معينا نظيره» (١٨). بعد قراءتنا في الأصحاح الأول عن ذكر وأنثي كالنواة لِتكوِّن الأسرة بوجه عام، يكشف الوحي لنا ما إختلج

من شعور في قلب اللَّه نحو كون آدم يعيش وحيدًا، فقد رأي الرب أن الجيد أن يصنع له من يعينه ويكون نظير له الأمر الذي يمهد لذكر التفاصيل المختصة بهذا الأمر. ليتنا نلتفت جيدًا لغرض اللَّه الأساسي في قوله «ليس جيدا أن يكون آدم وحده». فاللَّه ينظر لآدم أنه صورة للآتي الذي هو آدم الأخير ربنا يسوع المسيح الذي مشورة ومقاصد اللَّه نحوه في الأزل ألا يكون وحده. أعطي اللَّه سلطان السيادة لآدم ودعاه ليسمي جميع حيوانات الأرض والمخلوقات البحرية وطيور السماء «وكل ما دعاه آدم ذات نفس حية فهو اسمها» هكذا جعله يتسلط علي كل كائن حي ولكن «أما لنفسه فلم يجد معينًا نظيره» لأنه كلما كان يسمي نوعًا من هذه المخلوقات كانت تَمْثُل أمامه ذكرًا مع أنثي فدعاه ذلك لإدراك أنه وحيد وبلا رفيق - «فأوقع الرب الإله سباتا علي آدم فنام... وبني الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم... هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعي امرأة لأنها من امرء أخذت» (٢١-٢٣). وهب الرب لآدم هبة الزمالة ومنحة الرفقة وفرحة تبادل المشاعر بالشركة حتي لا يكون في وحشة وحده، وحتي يُجري الرب صنعه كان ينبغي أن يوقع سباتًا علي آدم ليجنبه الألم حينما يأخذ منه ضلعة قريبة من قلبه لتكون النواة التي بني عليها المعين الذي سماه آدم فيما بعد بامرأة لأنها مأخوذة من امرء. ربنا يسوع المسيح فادينا لم ينام في سبات لتخرج إليه امرأته فقد ذاق بنعمة اللَّه الموت لكي تخرج الكنيسة إلى الوجود الأمر الذي نراه تحقق

في يوم الخمسين بنزول الروح القدس علي التلاميذ والمؤمنين الذين هم جسد المسيح وهو الرأس في السماء.

تك ٣

رأينا في أصحاحي ١ ، ٢ حادثة الخلق وسنري حادثة السقوط في أصحاحي ٣، ٤ والسقوط يعني بالمعني السلبي "عدم إصابة الهدف" والمعني الإيجابي هو التعدي وتجاوز الحد" الشيطان هو مَن وراء الحية مستثمرًا ما ميزها به اللَّه عن باقي حيوانات البرية وهي أنها الأكثر حيلة، واستخدمها ناطقًا فيها ومكلمًا حواء وهي الإناء الأضعف وسألها: «أحقًا قال اللَّه» وهذا كان بمثابة الطُعم المسموم الذي ألقاه لها الشيطان وكان عليها، إن كانت منتبهة، أن تجيب: "نعم اللَّه قال ولما يتكلم اللَّه فهو الصادق" لكنها أُغويت ودخلت في حوار مع الحية ولم تنتبه أن الكلام فيه اعوجاج وتحريف لكلمة اللَّه وانساقت وراء أسلوب الحية فغيرت هي الأخرى كلام اللَّه قائلة «... وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال اللَّه: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا» (٣). واللَّه كان قد نهاهم عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر ما لم تذكره المرأة، كما أن اللَّه لم يقل لا تمساه إنما قال «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً» (٢: ١٧). وهكذا في تجاوب المرأة مع الحية أخذت جانب الشيطان وهذه هي طريقة الشيطان مع الإنسان دائمًا:

(١) تشكيك في محبة اللَّه بادعاء ثِقل وصاياه (مع أنها خفيفة ونيره هين) ولما يوافق الإنسان ويتذمر.

(٢) يقدم اقناعاته لتسهيل طريق الخطية لعقل الإنسان (تفسد الأذهان عن البساطة التي في المسيح).

(٣) يخاطب حينئذ الشهوة وإثارة الحاجة إليها فيدفع الإنسان المستسلم للسقوط.

(٤) يترك الإنسان للموت باليأس، فهو المكتوب عنه أنه القَتَّال للناس منذ البدء وهو الكذاب وأبو الكذاب. هكذا تسببت حواء وآدم في كارثة البشرية قال عنها الرب «ما هذا الذي فَعَلْتِ» (١٣).

مجال الحرب	مع حواء (الإنسان الأول)	مع المسيح (الإنسان الثاني)
شهوة الجسد شهوة العين تعظم المعيشة	رأت أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وشهية للنظر تكونان كاللَّه	«قل أن تصير الحجارة خبزًا» (مت٤: ٣) «أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي» (مت٤: ٩) «إن كنت ابن اللَّه فاطرح نفسك لأسفل» (مت٤: ٦)

إن ما فشل وسقط فيه آدم هو ما نجح فيه الرب يسوع المسيح، فقد جاوب الشيطان بكلمة "مكتوب" أي بكلمة اللَّه دون تحريق، الأمر الذي ذهب وراءه الشيطان إلى الحد الذي كَذَّب فيه الشيطان اللَّه لما

قال لحواء: «لن تموتا». لما أكل آدم وامرأته من الشجرة المحرم عليهم الأكل من ثمرها، حالاً عَلِما انهما عريانين وإذ دخلتهم الخطية فارقتهم البراءة التي كانوا فيها عريانين وهما لا يخجلان. صارت علاقة آدم بالرب الاله يشوبها الخوف بعدما كانت علاقة حميمية لذلك حينما أتي الرب الاله ليجد آدم، وجده مختبئًا وسط شجر الجنة وساترًا نفسه بأوراق التين وكان الرب يرجو أن يعترف آدم بخطيته وهي الوسيلة الوحيدة التي تؤهل الإنسان لكي يقبل اللَّه توبته المتوَقَّعة بناء علي الاعتراف بالخطأ. لنلاحظ هنا أن آدم وامرأته لما خاطا لأنفسهما مآزر لستر عريهم من أوراق التين، كان ذلك رمز عمل الإنسان الفاشل لستر عريه أمام الرب الاله ولكن رمز مقابل ألبسهما الرب أقمصة من جلد وهذه مصدرها ذبيحة عملها الرب بنفسه وهي تشير إلى الذبيحة الواحدة والوحيدة التي تقدر أن تستر عري الإنسان «صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا» (عب ١) هي ذبيحة ربنا يسوع المسيح علي مذبح الصليب.

الرب الاله أعطي آدم وامرأته كل ما يلزم لراحتهم بل غرس لهم جنة في عدن ووضعهما فيها ليعيشا في راحة وسلام، فماذا كان يعوزهم أيضًا حتي يتفكرا أن يكونا كاللَّه، وهذا الفكر هو السم الذي دسته الحية في فكر حواء. ففي حقيقة الأمر أن هذا هو عين الفكر الشرير الذي نبع من داخل قلب الشيطان حين أراد أن يصير مثل العلي ويرفع كرسيه فوق الكواكب. هكذا تصور لهما حسي ما قادهم إليه هذا الفكر

أن اللَّه لا يحبهم ولا يريد إعطاؤهم شيئًا خاصًا لأنه يبقيه لنفسه، وما أردأ أسلوب التفكير هذا فيما يخص الرب الاله ونتيجة لهذا الفكر المغلوط تَصَوَّرَت الشجرة لحواء أنها جيدة للأكل وللعين وللنظر فَسَهَّلَ ذلك لها اختراق وصية اللَّه وأخذت من ثمر الشجرة وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل وقد اعترف آدم للرب بتعديه الوصية قائلاً: «المرأة... هي أعطتني فأكلت» (١٢). وعلي أساس هذا الاعتراف لم يمت آدم وصار تحت ستر ذبيحة اللَّه المؤجلة إلى ملء الزمان حيث «أرسل اللَّه ابنه إلى العالم لِيَخْلُص به العالم» المرموز إليها بأقمصة الجلد التي ألبسها اللَّه إياها، فهو يحب الإنسان والإنقاذ يأتي من عند الرب ولا يقدر الإنسان أن يصنع لنفسه خلاصًا.

واجه الرب كل من آدم وحواء باللوم والتأنيب قبل أن يوقع علي كل منهما قصاصًا مستحق عن تعديهما، فالمرأة صار لها أن تعاني آلام الحمل وأوجاع الولادة وتكون خاضعة لرجلها واشتياقها يكون إليه. آدم صار له أن يعمل الأرض التي جبل منها والتي تسبب في لعنتها علي أن يعملها بالجهد والتعب ويأكل خبزه منها بالعرق بعدما كان يتمتع بأن يعملها وحده حيث لم يكن أي تعب عليه في ذلك إذ كان في حالة البراءة ولكن الآن صار الشوك والحسك له أعداء في هذه الأرض يقاومون عمله فيها لذلك تطلب الأمر العناء والتعب.

أما عن الحية فالرب لم يواجهها مثلهما لكنه أوقع عليها قضاءه مباشرة ونري فيه أول نبوة في الكتاب تشير إلى الرب يسوع كمن هو نسل المرأة «وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه» (١٥). سيأتي الرب يسوع مرسلاً من عند اللَّه لكي يُصلب ويموت (تسحقين عقبه) وهناك أيضًا سيبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس (عب ٢: ١٤) (هو يسحق رأسِكِ).

فَهِمَ آدم قصد اللَّه أن المرأة ستلد أولادًا ومنهم سيأتي نسل المرأة الذي هو المسيح لذلك سماها «حواء» وسَبَّبَ هذه التسمية بأنها ستكون أمّ لكل حي علي وجه الأرض.

رأي الرب أنه ينبغي أن توضع حراسة علي شجرة الحياة حتي لا يصل آدم إليها ويأكل منها فيحيا إلى الأبد وهو في حالة السقوط، لذلك وضع الرب هناك الكروبيم وسيف متقلب لحراستها.

تك ٤

هذا الأصحاح يكلمنا عن بداية التدبير الثاني وهو تدبير الضمير لما عرف الإنسان الخير والشر فقال آدم للرب: «سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت». وهكذا انتهي التدبير الأول تدبير البراءة بطرد آدم من جنة عدن. الروح القدس يشرح في هذا الأصحاح طريقة الاقتراب إلى اللَّه والتي لا يقبل بغيرها ألا وهي الذبيحة الدموية.

قايين أول ذرية البشرية وقد ولدته حواء بالوجع كأول فاتح رحم في الأرض ثم تلاه هابيل أخوه، ولا يفوتنا في هذا المشهد أن نري كلام بولس الرسول في رسالة رومية «كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم (آدم) وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع» (رو ٥: ١١). فكل نسل آدم سيأتي وارثًا الخطية، لكن علينا ملاحظة، رغمًا عن هذا، خططت المشيئة الإلهية لفتح طريق الغفران أمام كل خاطئ. يعطينا الكتاب تصويرًا لنشأة الحياة الروحية عند الإنسان «كان هابيل راعيًا للغنم وكان قايين عاملاً في الأرض» (٢) فأسلوب قايين للاقتراب إلى اللَّه يستند علي تعبه وقوته في عمل المجهود وتقديم نتاج الأرض إلى اللَّه، فهو يرتبط بالأرضيات. أما هابيل فكراعي غنم ليس عنده ستر سوي أن ينظر إلى السماء ويدعو ساكنها لرعايته قبل أن يرعي هو الغنم وهو في ذلك يمثل سيده الذي هو الراعي الصالح. ما جذب نظر الرب لقربان هابيل ليس

هـو دم الذبيحـة علـي قـدر مـا هـو قيمـة الذبيحـة نفسـها فإنهـا كانـت محرقة تتكلم في طياتها عن طاعـة لا مثيـل لهـا قـدم بهـا المسـيح نفسـه للَّه بلا عيب «أطاع حتي الموت موت الصليب» (في ٢: ٨). فإيمـان هابيـل قاده لاختيار سمان غنمه أو شحم غنمه الذي يحكي عن هذه الطاعة.

خلافًـا لإيمـان هابيـل كـان الفكـر الـذي وَجَّـهَ قـايين أن استحسـانه تقـديم ثمـر تعبـه في الأرض إلى الـرب كأفضـل مـا يمكـن أن يقدمـه، وهو لم يكن مستوعبًا لدرس "أقمصة الجلد" التي لابد أن يكون سمع عنها من أبويه الأمر الذي حدث مع أخيـه هابيـل، وهـو أن الاقـتراب إلى اللَّه هو من خلال الذبيحـة «لأنـه بـدون سـفك دم لا تحصـل مغفـرة » (عب ٩: ٢٢) وفات قـايين أن الأرض كانـت ملعونـة وكـذلك كـل مـا ينـتج عنهـا عـلاوة علـي أن الـرب يمقـت نظـام الاقـتراب إليـه بعمـل جهـد الإنسان مهما عظم «لكي لا يفتخر أحد» ولم يعتـبر أنـه نسـل إنسـان ساقط ولم يقر بعدم استحقاقه في ذاته، وإنما أعطي نفسه اعتبـارًا أمـام الرب فقربان قـايين «ذبيحـة الجهـال» (جـا ٥: ١) ومـن المسـتحيل أن اللَّه ينظر إليه لذلك «نظر الرب إلى هابيل وقربانـه ولكـن إلى قـايين وقربانـه لـم ينظـر» (٥) وبسـبب عـدم قبـول اللَّه لذبيحتـه «اغتـاظ قـايين جـدًا وسقط وجهه» (٥) اغتاظ قـايين مـن اللَّه الـذي مـن مراحمـه الـتمس لـه مخرجًا من خلال إقناعه بتصحيح تَوَجُّه قلبـه «إن أحسـنت، أفـلا رفـع» فإن كنت صنعت حسنًا أفما كنت أرفع وجهك، وَهَـبْ أنـك لـم تحسـن ففي مقدورك تقديم ذبيحة للرضا عنـك. لكـن لـم تكـن اسـتجابة مـن

قايين ولا هو فهم قصد اللَّه لأن قلبه كان متقسيًا، فهذه هي مبادئ تَكَوُّن الديانة الجسدية التي تعتمد علي عمل الجسد وتتغافل عن مطالب الرب. تحول غيظ قايين من اللَّه إلى حسد وبغضة لأخيه هابيل، وإذ كانا يومًا في الحقل أن قايين غافل أخاه وقام عليه وقتله.

هذه أول خطية للإنسان ضد الإنسان، ولما سمع الرب صوت دم هابيل يصرخ إليه من الأرض سأل قايين عن أخيه، فما كانت الإجابة إلا كذبًا وتبجحًا «لا أعلم. أحارس أنا لأخي؟» (٩) ورغم أن الرب مَكَّنَ له فرصة للرجوع والتوبة إلا أن الإنسان في عماه الروحي الذي يقوده فيه الشيطان يذهب بعيدًا في عناد وقساوة حتي أنه لا يشعر بجسامة الجرم الذي ارتكبه ويستذنب اللَّه لأنه عاقبه بأكثر مما يستحق «ذنبي أعظم من أن يُحتمل» (١٣). يذهب قايين هاربًا وتائهًا في الأرض كحكم الرب عليه كما أصابته لعنة من الرب وذهب بعيدًا يحاول أن يملأ فراغ بعده عن الرب باختراع أول الاختراعات التي تلهي الإنسان في بعده عن خالقه.

نري سلسلة النسب الجسدي من قايين حتي لامك الذي معناه الشاب القوي والذي يرمز للعنف إذ قتل واحدًا لسبب غاية في التفاهة وصار يتفاخر كما أنه أول من ابتدع مبدأ تعدد الزوجات كأسلوب لمناقضة ترتيب اللَّه في الزواج، كما أنه اعتبر أهمية لنفسه تفوق قايين أحد عشر ضعفًا من جهة استحقاق الانتقام منه حيث كان يعترف

«فإني قتلت رجلا لجرحي وفتي لشدخي» (٢٣). إنه ينتقم لقايين سبعة أضعاف وأما للامك فسبعة وسبعين (٢٤) ونلاحظ أن لامك هو السابع من آدم في سلسلة النسب الجسدي مشيرًا إلى كمال البعد عن اللَّه.

نري كذلك تسلل النسب الروحي في تزامن مع تسلسل النسب الجسدي الأمر الذي يحكي تداخل الرب في تنويع البشر إلى فريقين جسدي وروحي (الحيواني أولاً ثم الروحاني) والجسدي يشير إلى بداية العالم الحاضر الشرير.

تك ٥

يدون الروح القدس بدايات وتوالى النَسَب الروحي المنحدر من أصل الخليقة آدم حيث يقول «حينئذ ابتُدئ أن يُدعي اسم الرب (تك ٤: ٥) وبمجرد ولادة شيث صارت للرب شهادة بدأت علي الأرض. نري من الأسماء ومعانيها ما يشهد لهذا النسل الروحي النقيض لصفات النسل الجسدي السابق الكلام عنه.

	أولاد اللَّه	أولاد الناس	
١-	آدم	قايين:	«أما نوح فوجد نعمة في عيني الرب» (٦: ٨) حيث لم يهلك بالطوفان لأنه منه سيأتي المسيح المخلص
٢-	شيث: عوضًا ومعين (رأسًا لجيل	حنوك: تعليم	
٣-	مقدس)	عيراد: جحش	
٤-	أنوش: هش ضعيف زائل	محوبائيل: مضروب من اللَّه	
٥-	قينان: اقتناء	متوشائيل: بطل اللَّه	
٦-	مهللئيل: اللَّه بهاء واستنارة	لامك: الشاب القوي المفتخر بقوته	
٧-	يارد: نزول وتواضع		
٨-	أخنوخ: تعليم تهذيب –السابع	هذا الجيل انقرض بالطوفان لقول الرب «أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته» (٦: ٧)	
٩-	من آدم-		
١٠-	متوشالح: رجل الجهاد		
	لامك: القوي (بالاستناد علي الرب)		

نوح: راحة وتعزية اللَّه		

انقطع حبل الاتصال بين الإنسان واللَّه الحي ولما انحل الرباط الذي يعطي الحياة للإنسان نراه قد دخل في قبضة الموت، فمهما عاش الإنسان سنين طويلة لكن الوحي يسجل في النهاية أنه "مات". الشركة صارت مع اللَّه مستحيلة ولا يمكن للإنسان أن يجدد شركته مع اللَّه إلا علي أساس جديد ألا وهو الإيمان. هذا الأمر بدا واضحًا فيما ذكر الوحي عن أخنوخ كحالة استثنائية وسط تشويش العالم «وسار أخنوخ مع اللَّه ولم يوجد لأن اللَّه أخذه» (٢٤). وشُهد له أنه أرضي اللَّه فترتيبه في السلسلة السابع من آدم وهو مثال لكمال الاقتراب إلى اللَّه وعلي نقيضه كان لامك مثالاً لكمال الابتعاد عن اللَّه. جدير بالذكر أن النسل الروحي بدءًا من شيث يمثلون أفراد الكنيسة الذين يرقدون علي رجاء القيامة، أما أخنوخ فهو رمز للكنيسة التي ستكون علي قيد الحياة حينما يأتي الرب من السماء فهؤلاء لن يروا الموت وكأن اللَّه أخذهم مثل أخنوخ.

تك ٦

نلاحظ أن الروح القدس في سرده لأسماء النسل الروحي يكرر العبارة «وعاش... وولد... وولد بنين وبنات» وهذا ما تم أيضًا مع النسل الجسدي وهكذا أكثر الناس علي الأرض مما أدي إلى انحراف النسل الروحي بالنظر إلى بنات الناس من النسل الآخر، وابتدأوا يضعون أنفسهم تحت نير معهن وتزوجوا بهن واختلطوا «فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا» (٢). وما كان ذلك بحسب مشيئة اللَّه الذي لا يحسب أن يكون المؤمن تحت نير مع غير المؤمن. أيضًا قال بعض المفسرين أن «أبناء اللَّه» يقصد بهم الملائكة كما جاء في مواضع عديدة من كلمة اللَّه منها «وجاء بنو اللَّه ليمثلوا أمام الرب...» (أي ١: ٦)، ولكن المقصودين هنا هم فئة أخري من الملائكة كَتَبَ عنهم يهوذا «الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود...» (يه ٦) قد تكون هذه الفئة هي التي أخطأت مع بنات الناس علي كل الأحوال فإن الحال التي آلت إليها حياة الناس بعدما كثروا في الأرض صارت رديئة وكأن انتقال أخنوخ لم يؤثر علي العالم ولا أثر فيه سيره مع اللَّه، فقد أدي الأمر إلى أنه «حزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه» (٦). وهنا نري أن للرب مشاعر فائقة السمو لأنه قدوس، فهو يحزن ويفرح ويغضب كما أنه يحب ويتحنن ولا يطيق أن ينظر إلى الشر الذي أنتجه الإنسان نتيجة حرية الاختيار التي حباه بها اللَّه فالإنسان لم يحسن التصويت

علي الهدف «ورأي الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم» (٥). وإزاء هذه الحال التي صار عليها الإنسان «قال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته: الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء. لأني حزنت أني عملتهم» (٧). فاللَّه لم يغير مقاصده ولكنه يتأسف لحدوث الشر الذي ليس في مقاصده.

اللَّه العظيم في وسط الغضب يذكر الرحمة «وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب» (٨). الرب يعلن لعبده نوح فكره فإن سر الرب لخائفيه لذا أعلن له طريقًا لخلاصه وخلاص بيته وشهادة الرب هي «كان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله. وسار نوح مع اللَّه» (٩). إن بر نوح الذي حسبه الرب له هو بر الإيمان إذ تذكر الرسالة إلى العبرانيين عنه «بالإيمان نوح لما أُوحي إليه عن أمور لم تر بعد خاف، فبني فلكا لخلاص بيته، فبه دان العالم، وصار وارثا للبر الذي حسب الإيمان» (عب ١١: ٧). فنوح صَدَّق اللَّه الأمر الذي لم يفعله خطاة جيله، وهذا هو الإيمان الذي يُرضي الرب «نوح ولد ثلاثة بنين سامًا وحامًا ويافث» (١٠)

ها هو الرب يعلن لنوح طريقة خلاصه هو وأهل بيته، وهذا يظل وعدًا ثابتًا علي مدي الأجيال لكل من يؤمن مثل سجان فيلبي، فيقول له الرب «اصنع لنفسك فلكًا من خشب جفر. تجعل الفلك مساكن...

وهكذا تصنعه» (١٤) أملاه الرب كيفية صنع الفلك ومواصفاته وأبعاده وكل شيء، فإن عمل اللَّه لا يعمله إلا اللَّه لأنه يكون العمل الكامل وما نحن سوي أوانٍ نَشرُفُ باستخدام الرب لنا. لنتأمل في أن الفلك هو صورة ورمز للرب يسوع بالارتباط بكلمة الخلاص المذكورة في سبع نقاط:

١- «اصنع لنفسك فلكًا من خشب جفر» (١٤) خشب الجفر نوع من الأخشاب لا يفسد، فهو رمز لناسوت المسيح الذي لا يشوبه فساد والذي كان لابد أن يصير إنسانا حتي يكون سببًا لخلاص الخطاة.

٢- «وتطليه من داخل ومن خارج بالقار» (١٤) وهي مادة لعمل عازل عن كل شيء خارجي فلا يمكن لمياه الدينونة أن تتسرب إلى من هم داخل الفلك كما أنه «لا شيء من الدينونة الآن علي الذين هم في المسيح يسوع» (رو ٨: ١).

٣- حجم الفلك ٣٠٠ × ٥٠ × ٣٠ ذراع حجم هائل لاستيعاب المؤمنين رمز لكفاية عمل المسيح لخلاص جميع الناس.

٤- «تضع باب الفلك في جانبه» (١٦) باب واحد وحيد لدخول المخلصين والرب قال عن نفسه «أنا هو الباب» لأنه «ليس اسم آخر قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص».

٥- «وتصنع كوًا للفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق» (١٦) هي فتحة في أعلي الفلك تمكن المؤمن من النظر إلى فوق فلا ينظر إلى الدينونة التي من تحت «انظروا إلى فوق حيث المسيح جالس».

٦- «مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله» (١٦) وهي تشير إلى كل عائلة اللَّه آباء وأحداث وأطفال وكلهم سواء في فلكه واحد أي الجميع في المسيح واحد كما تشير إلى ثلاثة أنواع مؤمنين العهد القديم، الجديد، البقية.

٧- مدة البقاء في الفلك سنة وعشرة أيام لم يشعر من فيه بأي جوع لأن الطعام كان يملأ الفلك وهو رمز لكلمة اللَّه التي يتغذى عليها الشعب طوال البرية.

بعدما أمهل اللَّه الأمم العصاة مائة عام حتي يفكروا فيما يمكن أن يكون ما يقوم نوح ببنائه أمام عيونهم، لكنهم بدل أن يتساءلوا استهزئوا بالمشهد حيث تكلموا بمنطق العيان لا الإيمان ردًا علي ما كان يكرز به لهم نوح. كان يقول لهم إن هناك طوفانًا آتْ علي العالم بكل ما فيه ليقضي عليه، ولكن من يصدق اللَّه تائبًا عن سلوكه المُهْمِل لوجود اللَّه ويرجع عن طريقه الرديء سوف يخلص من خلال هذا الفلك. لكنهم تهكموا عليه رافضين أمر الدينونة بالطوفان حيث لم

يكن مطر علي الأرض بعد. هكذا هلك هؤلاء القوم العصاة لأنهم هزأوا بكرازة نوح لهم وبطول أناة اللَّه عليهم ولم يصدقوا ما كانوا يسمعونه فلم يعطوا وقارًا ولا اعتبارًا للَّه. لذلك ظهر التباين جليًا بين نوح وبينهم، فهو أطاع اللَّه بأمانة فقال له الرب «ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لأني إياك رأيت بارا لدي في هذا الجيل» (١). «لأني بعد سبعة أيام أيضًا أمطر علي الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة. وأمحو... ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب» (٤، ٥). طاعة نوح وخوفه جعلت الرب يعطيه سره «فسر الرب لخائفيه» علاوة علي محبته وحنانه له ولأهل بيته فأعلن له عن مهلة السبعة الأيام قبل انصباب الغضب علي الأرض كي يستعد وينفذ أيضًا الطلب «من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرًا وأنثي. لاستبقاء نسل علي وجه كل الأرض» (٢، ٣). ورغم علمنا أن عدد أنواع وأجناس الحيوانات هي عدد لا يمكن إحصاؤه، فإننا نتساءل بالإيمان كيف أمكن لنوح أن يقوم بنفسه بتجميع هذه الحيوانات كل جنس بِذَكَرِهِ وأُنثاه، وأكمل هذا العدد في أسبوع واحد، العقل لا يمكن أن يوافق علي هذا الرأي، فإن المرجح للإيمان هو أن اللَّه خالق هذه الحيوانات أمَرَها أن تأتي إلى نوح وتصطف طابورًا أمام باب الفلك لحين أن يأمر الرب بإدخالهم. جاء اليوم المحدد من الرب لانصباب القضاء وهو «اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من السنة الست مائة من حياة نوح» (١١). فدخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء لبنيه معهم إلى

الفلك هم وكل الوحوش... دخلت اثنين اثنين ذكرا وأنثي... كما أمره اللَّه. وأغلق الرب عليه» (١٥، ١٦).

إن الذي يغلق ولا أحد يفتح، هو الذي أغلق باب الفلك والتأمل الروحي يرجح أن إغلاق باب الفلك يتم من الداخل الأمر الذي يحتم أن الرب كان بداخل الفلك مع كل الموجودين به «فإن كان اللَّه معنا فمن علينا». مياه الدينونة التي قضت علي الأشرار العصاة هي نفسها التي حملت الفلك فوقها، وما كان ممكنًا البتة أن يهلك من بداخل الفلك لأنهم «في المسيح» الذي يمسك خرافه الخاصة في يده ولا يستطيع أحد أن يخطفهم من يده لأنه من أجلهم نزل يومًا إلى أعماق مياه الدينونة والسيل غَمرَه وكان ذلك في الصليب حينما احتمل ضربة السيف عوضًا عن كل مؤمن «لأنه تعلق بي أنجيه أُرَفِّعهُ لأنه عَرَفَ اسمي» (مز ٩١: ١٤).

«انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء» (١١). هكذا تكاثرت المياه من أسفل ومن فوق وتعاظمت جدًا حتي غطت أعلي قمم الجبال بمقدار خمس عشرة ذراعًا وظلت مائة وخمسين يومًا حتي أن «كل ما في أنفه نسمة حياة من كل ما في اليابسة مات» (٢٢). هكذا يعد الرب المسرح لبداية أخري بجنس مختلف عما سبقه ليبدأ تدبيرًا جديدًا يختبر فيه مسئولية الإنسان وهو تدبير الحكومات. وهكذا «تَبَقَّي نوح والذين معه في الفلك فقط» (٢٣).

تك ٨

«ثم ذكر اللَّه نوحا وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك» (١). تنازل الرب برحمته إذ جاء وقت الخروج من الفلك. أمر الرب الريح لكي تهدأ المياه فأطاعت وتراجعت المياه عن الأرض بالتدريج حتي استقر الفلك فوق قمة جبال أراراط الموجودة شمال العراق الحالي، ومعني الجبل هو المكان المرتفع وهو ما تعنيه الحياة السماوية الجديدة بعد زوال الدينونة. بعد ظهور رؤوس وقمم الجبال واستقرار الفلك كان نوح يحتاج أن يتخذ خطوة للتعرف علي الوضع خارج الفلك لكنه انتظر أربعين يومًا قبل أن يفتح طاقة الفلك، كان اللَّه فيها يدرب عبده علي الصبر والثقة والاتكال عليه. فتح نوح طاقة الفلك وأرسل طائرًا غير طاهر هو الغراب الذي يناسبه أن يقيم وسط النجاسة، فهو يعيش علي الجيف النتنة. لما رأي نوح تردد الغراب ذهابًا ومجيئًا أدرك أن المياه ما زالت لم تجف، علي أن الغراب لم يعد يدخل إلى الفلك بعدما خرج منه، فقد وجد بيئة النجاسة التي يرتاح فيها وليس له احتياج لدخول الفلك مجددًا حيث الطهارة والقداسة، وهذا هو حال غير المؤمنين الذين اذا خُيروا فهم لا يفضلون حياة القداسة. عاد نوح بعد هذا وأرسل الحمامة من الطيور الطاهرة وهي إشارة إلى الروح القدس عاملاً في الطبيعة الإنسانية حتي ما يري إن كانت المياه قد جفت من عدمها، فلما رجعت إليه الحمامة مرة أخري علم أن المياه لا تزال تغطي الأرض، والمعلوم أن الحمامة لن تحط أرجلها إلا علي مواضع جافة وطاهرة. عاد

نوح بعد أسبوع وأرسلها فعادت إليه آخر النهار وفي فمها فرع شجرة زيتون خضراء ما يعني هبوط المياه علي الأرض وانكشاف الأشجار. عاد نوح وأرسلها بعد سبعة أيام أُخر فذهبت ولم ترجع إليه أيضًا فقد جفت الأرض. والمعني الروحي المستفاد من درس الحمامة أنها في المرة الأولي لم تجد لنفسها راحة في عالم تستقر عليه مياه الدينونة، والمرة الثانية عادت ومعها ثمر ليقينية انقضاء الدينونة (ورقة الزيتون ترمز للسلام) أما المرة الثالثة فقد دخلت العالم الجديد، فالذهن المتجدد أيضًا لا يجد لنفسه راحة وسط الجدب ولكنه لا يجدها إلا في المسيح.

قال الرب لنوح «اخرج من الفلك أنت و... كل الحيوانات أخرجها معك» (١٧) ففعل نوح كما أمره الرب. الأمر الجميل الذي استهل به نوح حياته الجديدة هو أنه لم يفكر في بناء مسكن لنفسه ولبيته وإنما أول ما بناه هو مذبح للرب وأصعد عليه أكبر ذبيحة قدمت في الكتاب المقدس وهي أعظم من ذبائح الملك سليمان التي قدمها عند تدشين الهيكل، وذلك بسبب أن هذه الذبيحة تضمنت من كل الحيوانات الطاهرة جميعها فتنسم الرب رائحة السرور والرضا، علمًا بأن أمر الذبائح لم يكن معروفًا ولا معلنًا عنه أي شيء وقتذاك ولكن نوح فهم قصد اللَّه من تصنيف الحيوانات كطاهرة وغير طاهرة، وهذه هي عبادة الإيمان التي أخذ فيها نوح مركزه كساجد. لهذا السبب «قال الرب في قلبه: «لا أعود ألعن الأرض أيضًا من أجل الإنسان لأن تصور قلب

الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضًا أميت كل حي كما فعلت» (٢١).

هكذا من المُلذ للمؤمن أن أول ما يقدمه لفاديه ومخلصه في كل صباح جديد بل في كل لحظة ذبائح الشكر والحمد من أجل خلاصه ونعمته وذبائح الحمد هي شفاه معترفة بفضله تسبح اسمه.

نلاحظ أن الغراب هو رمز للفساد والخليقة العتيقة في المؤمن، والتي تشتاق لأمور النجاسة أحيانًا، أما الحمامة فهي رمز الطهارة وحياة النقاوة التي اكتسبها المؤمن بالخليقة الجديدة.

«مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر، وصيف وشتاء، ونهار وليل لا تزال» (٢٢).

فصول السنة بدأت بعد الطوفان حيث لم يكن مطر قبله، فبسبب الطوفان حدثت تغييرات في زاوية ميل دوران الأرض حول نفسها الأمر الذي أوجد أربعة فصول للسنة وما يتبعها من تغير المناخ ووجود المواسم المختلفة.

تك ٩

بارك اللَّه نوحًا وبنيه باعتبارهم رؤوسًا في الخليقة الجديدة بعد الطوفان، ويعود ويعطي الإنسان السلطان علي المخلوقات ويعطيها أن تخافه كما أعطي للإنسان أن يأكل من لحومها علي ألا يأكلها وفيها دمها، لأن النفس في الدم ولأن الدم هو الحياة واللَّه يحتفظ بالحياة لنفسه، فالحياة مِلكُ للَّه لذلك يصون اللَّه الحياة البشرية ويُشَرِّع ما يتصل بالموات. هكذا بعدما كان اللَّه أعطاهم العشب الأخضر طعامًا، الآن يعطيهم لحوم الحيوانات أيضًا «كل دابة حية تكون لكم طعامًا. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع» (٣). كما أمرهم بالتكاثر في الأرض.

كان اللَّه قد خلق الإنسان علي صورته كشبهه ليميزه بتمثيله علي الأرض إلا أنه بعد دخول الخطية صار الإنسان علي صورة اللَّه فقط ولم يعد بعد كشبهه وحينما وُلدوا كان علي شبه الإنسان الساقط (٥: ٣). فاللَّه أبقاه علي صورته وأعطاه سلطان القصاص من القاتل كحاكم ينوب عن اللَّه في ظل هذا التدبير (تدبير الحكومات) لأن القاتل لم يقتحم الإنسان فقط ويؤذيه لكنه يشوه صورة اللَّه بعملية القتل «سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه. لأن اللَّه علي صورته عمل الإنسان» (٦). و «من يد الإنسان أطلب نفس الإنسان» (٥) «فأثمروا أنتم واكثروا وتوالدوا في الأرض وتكاثروا فيها» (٧).

إن غـرض اللَّه أن الإنسـان يمـلأ الأرض ويسـكنها ويتـوزع في مساحاتها، فقد كان نوح وبنوه هم النبتة الجديدة التي تكونت منها الأجناس والشعوب في العالم كله وتأسست بهم السلالات والعشائر وهكذا أعطي السيف في يد الإنسان في تدبير الحكومات حيث ظهر فيه فشل الإنسان أيضًا كالتدبير السابق.

أقام اللَّه مع نوح عهدًا وتممه حين قال «ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك (تك ٧: ١)، ثم عاد وقال «اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك وكل الحيوانات...» (٨: ١٦، ١٧). هكذا يقيم الآن عهدًا آخر هو أيضًا أمين لتتميمه «ها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم» (تك ٩: ٩). وهذا هو العهد «وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض. فيكون متي أنشر سحابا علي الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي... فلا تكون أيضًا المياه طوفانا لتهلك كل ذي جسد» (١٣-١٥). فلن يعود اللَّه يهلك الأرض بالمياه كما فعل علي أن هذا لا ينفي وجود دينونة عادلة، إنما أعد اللَّه لهذه الدينونة نارًا هي مخزونة لوقت النهاية، وأما الآن فهو يتمهل ويتأنى علي الإنسان معطيًا للجميع فرصة التوبة فالإيمان. أما ذلك العهد فقد أعطاه للإنسان لينزع الخوف من قلبه بعدم تكرار هذه الإبادة بالدينونة.

شهد الوحي عن الإنسان أنه «ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد. فلم يكن هناك كامل سوي ذاك الذي انفتحت له السماء ليصير القول «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت» فو إن كان اللَّه شهد عن نوح أنه بار وقد أرضي اللَّه، فالقصد أنه هكذا بالنسبة لبقية البشر، وإنما هو في ذاته له سقطات وهذا ما وقع فيه نوح حينما ابتدأ يعمل فلاحًا في الأرض وزرع كرمًا وشرب من نتاجها فسكر وتعري وانكشفت عورته لابنه الأصغر حام الذي نال لعنة أبيه بسبب هذه السقطة حينما لم يستر عورة أبيه الأمر الذي فعله أخواه سام ويافث.

يمكننا التأمل في قوس القزح في سبع نقاط:

١- تظهر بعد تأكد وجود سحب داكنة، والمسيح ظهر لما تأكد ظلام العالم في استفحال الخطية.

٢- تظهر بين السماء والأرض للتذكير بذاك الذي ربط مشروع اللَّه بالخطاة «لأنه... ووسيط واحد بين اللَّه والناس».

٣- هي علامة عامة يراها الجميع كالحية النحاسية «ظهرت نعمة اللَّه المخلصة لجميع الناس»

٤- تطمئن الخليقة عندما تظهر القوس لأنه «لا شيء من الدينونة الآن علي الذين هم في المسيح يسوع» هكذا تُعْلِنْ.

٥- القوس تذكرنا دائمًا أن اللَّه يذكر الرحمة وسط الغضب.

٦- «متـي ظهـرت القـوس أبصـرها وأذكـر ميثـاقي» هكـذا يـري اللَّه دائمًا المسيح وفيه كل الكمال فلا يعود يذكر خطايانا.

٧- القوس ظهرت بعد دينونة الطوفان وهكذا المسيح سـيظهر فعليًـا بعد أن يتمم دينونته علي العالم.

تك ١٠

يعتبر هذا الأصحاح هو السجل الذي يدون فيه الروح القدس أصل ذريات وشعوب الأرض الذين بدأ بنو نوح ولادتهم حيث كثروا في الأرض كما أوصي الرب «هذه مواليد بني نوح... وولد لهم بنون بعد الطوفان» (١) ولنا أن نتبين كيف أبقي اللَّه علي نسل شيث لإتمام طرقه سيرًا في مشروعه حيث يأتي المسيح الرب من هذا النسل.

بعض الملاحظات عن الأسماء المذكورة ولنا فيها فوائد:

- هناك ممالك وبلدان لا تزال علي خريطة العالم اليوم وتحمل ذات الأسماء ولو بتغيير لفظي بسيط.
- "مصرايم" هي مصر المعروفة بحضارتها وآثارها.
- اليونان هي المذكورة هنا "ياوان".
- "توبال" هي توبلسك و"ماشك" هي موسكو، مقاطعتان روسيتان.
- "حضرموت" هي الواقعة في بلاد اليمن الآن.
- بعض هذه الممالك التي غابت أسماؤها عن خريطة اليوم ستظهر في المستقبل ولو بأسماء أخري خلاف القديمة.

- هناك أكثر من "كوش" فواحدة هي الموجودة جنوب مصر وهي أثيوبيا، والأخرى في آسيا (نهر كوش ودجلة والفرات) (إش ١٨: ١).

- هذا السجل ليس تاريخًا متعاقبًا ذكرت فيه أمور تخص الألسنة المتعددة التي تفرقت إليها جزائر الأمم وقبائل بني حام (٢٠) وبني سام (٣١) رغم أن بلبلة الألسنة لم تحدث إلا في أصحاح (١١) تاريخيًا.

- "بابل" لم تأخذ هذا الاسم إلا بعد المحاولة التي قصدها الإنسان للتجمع برغم أن اللَّه قصد الامتداد في الأرض «لتملأوا الأرض» (٩: ١) إذ تجمعوا في بقعة "شنعار" ليبنوا لأنفسهم برجًا فنزل اللَّه وأبطل مشروعهم بأن بلبل ألسنتهم لإرغامهم علي التفرق وأغلب الظن أن هذا حدث في أيام "فالج" ومعني اسمه "قسمة" وسبب التسمية مذكور في عدد (٢٥) «لأن في أيامه قُسِّمَتْ الأرض».

- "حام" وعائلته نري فيه بدء نشأة الإمبراطوريات العالمية وأشد المقومات العلنية للَّه وأشهرهم "نمرود" ومعني اسمه "تمرد" أو "ضد الرب" وقد أسس مملكة بابل كُتب عنه «جبار صيد أمام الرب» (٩). وذكر هذه المملكة مقترن بعدائها لشعب الرب في الكتاب، غير أن ذكرها في آخر الكتاب (سفر الرؤيا) يعبر عن

نظـام دينـي وُصِـفَت فيـه بالزانيـة العظيمـة وأم الزوانـي ورجاسات الأرض. حام هو أبو كنعان.

- "يافث" وبنـوه هـو رجـل الفتوحـات والتوسـع وقـد اسـتوطنوا في أوروبا وجزء ليس بقليل من شمال آسيا.
- "سام" هـو صـاحب أسـمي البركـات وتسـمي هنـا "أبـو كـل بنـي عـابر" وعـابر معنـاه الشـعب العـابر أو الغريـب والمسـافر وصـفة الاغتراب هذه نراها في نسل إبـراهيم واسـحق ويعقـوب أبطـال الإيمان وهكذا نال سام أسمي البركات لأنـه امتلـك اللَّه نفسـه نصيبًا ومن نسل سام جاء المسيح حسب الجسد.

تك ١١

«وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة» (١). كان هذا هو حال الجنس البشري قبل الطوفان ولفترة بعده، ويشرح الوحي هنا أسباب وظروف أن اللَّه شاء أن يُعَدِّد الألسنة بهف تفريق الناس وإثنائهم عن فعل أمر عقدوا عليه العزم كان صريحًا ضد مقاصد اللَّه كما كان تطاولاً من الإنسان علي اللَّه «وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وقالوا: «هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد علي وجه كل الأرض» (٢-٤). فقد سبق اللَّه وأعلن لهم عن مقاصده وهي أن يكثروا ويملأوا الأرض ويتوزعوا فيها وينتشروا بها، أما هم فأرادوا أن يتمركزوا في منطقة واحدة علاوة علي أنهم يَتَحدّون اللَّه بأن يصنعوا لأنفسهم اسمًا ليكونوا ندًا له تبارك اسمه. اللَّه رأي أنه ليس ما يمنعهم من إتمام غرضهم لذلك قال «هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتي لا يسمع بعضهم لسان بعض» (٧). ولا يفوتنا ملاحظة الثالوث المقدس في القول «ننزل ونبلبل». لما صاروا لا يفهمون بعضهم بعضًا كان اضطرارًا عليهم أن يكفوا عن بناء هذا البرج وهذه المدينة التي تسمت بابل شهادة علي عصيان الإنسان وهكذا اضطروا إلى أن يتفرقوا في كل الأرض وصار لكل مجموعة تمركزت في منطقة ما استحسنتها لسانها الخاص بها وهذا كان منشأ اللغات في كل العالم.

يبدأ الآن الروح القدس توجيه النظر للتركيز علي نسل سام كمن سيأتي منه المسيح حسب الجسد فيبدأ بذكر ولادة إبراهيم فهو بداية البركة الروحية للإنسان حيث سيدعوه اللَّه دعوة خاصة للانفصال له تبارك اسمه.

سام ولد أرفكشاد – شالح – عابر (ابن حفيد نوح وهو أبو كل من عَبَر الذين هم العبرانيون) – فالج – رعو – سروج – ناحور – تارح – وتارح وَلَدَ (١) أبرام – (٢) ناحور – (٣) هاران، وهذا هو معكوس ترتيب الولادة. فأبرام هو الأصغر وهاران الأكبر والسبب هو قيمة أبرام في عيني اللَّه حيث يري فيه رجل الإيمان ومستودع المواعيد الذي في نسله تتبارك جميع أمم الأرض.

هاران ولد لوطًا ومات قبل تارح أبيه في أرض مولده وهي أورالكلدانيين وتزوج أبرام من ساراي العاقر. جدير بالذكر أن تارح أبو إبراهيم كان له دور فعال في إدخال شر عبادة الأصنام بتخطيط من الشيطان إلى قومه وعشيرته، وقد قصد الروح القدس عدم ذكر شيء عن هذا في هذا السياق لحكمة وهي أن هذه كانت سلسلة أنساب البركة وقد استحسن الروح عدم تشويه ذكرها بما يكدر، علي أن الأمر ذَكَرَهُ الوحي فيما بعد في سفر يشوع أصحاح ٢٤ عدد ٢.

باعتبار أن الطوفان حدث سنة ١٦٥٦ من آدم يمكننا أن نجني فوائد عديدة من دراسة الجدول الآتي.

الاسم	سنة الولادة	العمر عند ولادة الابن	بقية العمر	إجمالي العمر	سنة الممات
سام	١٥٥٨	١٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٢١٥٨
أرفكشاد	١٦٥٨	٣٥	٤٠٣	٤٣٨	٢٠٩٦
شالح	١٦٩٣	٣٠	٤٠٣	٤٣٣	٢١٢٦
عابر	١٧٢٣	٣٤	٤٣٠	٤٦٤	٢١٨٧
فالج	١٧٥٧	٣٠	٢٠٩	٢٣٩	١٩٩٦
رعو	١٧٨٧	٣٢	٢٠٧	٢٣٩	٢٠٢٦
سروج	١٨١٩	٣٠	٢٠٠	٢٣٠	٢٠٤٩
ناحور	١٨٤٩	٢٩	١١٩	١٤٨	١٩٩٧
تارح	١٨٧٨	١٣٠	٧٥	٢٠٥	٢٠٨٣
أبرام	٢٠٠٨	١٠٠	٧٥	١٧٥	٢١٨٣
اسحق	٢١٠٨	٦٠	١٢٠	١٨٠	٢٢٨٨
يعقوب					

إبراهيم كان عمره ٧٥ سنة لما خرج من حاران وهو يتوسط الزمن بين آدم والمسيح وهو المعين للدعوة، وقد أبهره ما رأي في دعوة اللَّه له وهو في أور الكلدانيين الأمر الذي لم يعد يري به قيمة ما لكل ما في الأرض لأنه رأي ما قيمته أبدية وهي المدينة التي لها الأساسات فسار

كل حياته بالإيمان في الأرض حياة انفصال حقيقية حتي أنه كان يجتاز في الأرض التي وعده اللَّه بها وسكن الخيام كالغريب.

أخرج من أرضك ← اترك انتماءك – اخرج من عشيرتك ← اترك أو انفصل عما يعطي قيمة للإنسان – اخرج من بيت أبيك ← اترك العلاقات الأسرية. سبعة تعويضات لأبرام نظير دعوة اللَّه: (١) أجعلك أُمة عظيمة – (٢) أُباركك – (٣) أُعظم اسمك – (٤) تكون بركة – (٥) أبارك مباركيك – (٦) لاعنك ألعنه – (٧) تتبارك فيك جميع قبائل الأرض.

تك ١٢

بدءًا من إبراهيم ما عاد اللَّه يتعامل بمبدأ النعمة فقط لكن الوعد هو صار سمة معاملات إزاء الدعوة للانفصال إليه وهذا هو الجانب الإيجابي، وأما الجانب السلبي فهو ترك الأرض والعشيرة وبيت الأهل وكل ما يربط الإنسان بالأرض وما عليها والانفصال الكامل للَّه. إن إيمان إبراهيم أنشأ نهضة روحية في عائلة تارح وهكذا أيضًا ينبغي أن يكون للمؤمن تأثير فيمن حوله، فتارح يظهر كأنه قائد المسيرة إلا أن الدعوة كانت صريحة لأبرام وحده حينما كان وسط عابدي الأوثان «وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران (ابن ابنه) وساراي كنته امرأة أبرام...» (١١: ٣١) وأتوا إلى حاران حيث تَعَوَّقَ تارح ومات هناك. هكذا تحرر أبرام من آخر سبب أعاقه عن الدعوة وهو ارتباطه بأبيه أسريًا بالصلة الجسدية.

الآن يعاود اللَّه دعوة أبرام «اذهب... إلى الأرض التي أريك» نري هنا أولي سمات إيمان إبراهيم وهي الطاعة فهو إذ وثق في إلهه خرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي، جاء إبراهيم وكل من معه وما له إلى أرض كنعان وإذ كان الكنعانيون حينئذ في الأرض» (٦) وهم قوم أشرار، فلكي يشدد الرب أبرام ويشجعه ظهر له قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض» (٧) فصار أبرام يتقوى بالرب عوضًا عن أن يخشي ساكني الأرض الموعود بها، ولم يفرح بامتلاك الأرض الحرفية قدر فرحته بالرب نفسه

وبالمدينة السماوية التي قادت طريق إيمانه وهكذا «بني هناك مذبحًا للرب الذي ظهر له» (٧). علينا نحن أيضًا أن نحذو حذو أبرام لأن وجود الكنعانيين في الأرض يمثل سلطان الشيطان لذا علينا بالانشغال بمن هو الأقوى حتي نسير طريق الإيمان الصحيح ويكون لنا روح السجود عوضًا عن روح الخوف.

كنعان تشير إلى الأرض النبوية ولكن أبرام لم يسكنها وقيل عنه إنه اجتاز في الأرض وكان فيها غريبًا يسكن الخيام وعنده المذبح الذي يعاين فيه اللَّه الذي دعاه واستند علي كتف اللَّه القوية (معني شكيم) كما استند علي تعليم الرب (معني بلوطة مورة) لكن أبرام واجه صعوبات ثلاث:

١- الكنعانيون في الأرض ٢- الجوع ٣- النزول إلى مصر

هكذا دخل أبرام في امتحانات متنوعة ظهرت فيها ضعفه الإنساني «ثم ارتحل ارتحالاً متواليا نحو الجنوب» (٩) فإن كان قد نصب خيمته بين بيت إيل (بيت اللَّه) من الغرب، عاي (خرابًا) من الشرق الأمر الذي يعني أنه حينما يوجه نظره نحو بيت اللَّه فلابد أن يترك الخراب وراء ظهره، فمن هذا المفهوم نستنتج أن الانحدار نحو الجنوب يعني ضعفًا روحيًا أصاب أبرام فقد كان يفكر في الجوع ونسي النظر إلى اللَّه فابتدأ الخوف يملأ قلب أبرام حال اقترابه من مصر.

الدعوة: نري الفضل للرب وحده في دعوة إبراهيم ولا فضل لإبراهيم لأن: (١) الرب سمح لإبراهيم بالوجود في عائلة وثنية ٠ (٢) كانت ساراي عاقرًا حتي لا يشعر أبرام بثقل عندما يدعوه الرب – (٣) لم يسمح الرب لأبرام بالارتباط بأكثر من زوجة – (٤) أخرج من أرضك ومن عشيرتك ولم يقل من بيت أبيك لارتباطه القوي بأبيه فقد كان تارح ثقلاً – (٥) تعوق أبرام في حاران بسبب تارح فأخذه الرب ٠ (٦) «ثم نقله من هناك» (أع ٧) كأنه لم يكن يقدر فنقله الرب – (٧) يعيد الرب عليه الدعوة بسبعة مواعيد بالبركة.

السجود: شروطه (١) الانفصال «فخرجوا» (٢) الانشغال بالسماويات (٣) ينبغي أن نشعر بالغربة «اجتاز في الأرض» (٤) نحتاج إلى قوة «ذهب إلى شكيم» (٥) نحتاج الثبوت في التعليم قبل أن نسجد «اجتاز إلى بلوطة مورة» (٦) لابد من علاقة شخصية بالرب حتي نسجد «ظهر له الرب» (٧) المواعيد.

النزول إلى مصر أفقد أبرام سبعة أمور: (١) فقد الشركة بفقدان ساراي (٢) أنكر العلاقات الحقيقية إذ قال عن ساراي إنها أخته (٣) تسبب في مصائب أصابت بيت فرعون (٤) استحق توبيخ الأشرار إذ قال عن ساراي أنها أخته (٥) ذهابه إلى مصر سَبَّبَ خروج هاجر معه (٦) تعود علي فعل الخطية بتكرار الكذبة أن ساراي أخته (٧) صار قدوة سيئة لمن حوله كلوط الذي اشتهت عيناه الأرض بسبب مصر.

تعلم أبرام من رحلته إلى مصر:

١- أن اللَّه إله البر هو من يسير وراءه ويعيد خطواته للصواب.

٢- أن اللَّه إله غفران لم يسحب مواعيده فأنقذه من مصر.

٣- أنــه لا يقــدر أن يحمــي نفســه مــن الخطــأ والخطيــة واللَّه هو الحافظ.

تك ١٣

تحاشي أبرام أن يخوض تجربة الجوع في ارض الموعد بأن فَضَّلَ النزول إلى مصر حيث عاني من الضعف الروحي فلم تكن له أي شركة مع الرب هناك وعلي نقيض القول «فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك» (١٢: ١٠)، نجد في أصحاحنا «فصعد أبرام من مصر» (١٣: ١) وهذه هي الخطوة الأولي نحو استعادة الشركة من جديد واتجه راجعًا إلى بيت إيل «إلى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداءة بين بيت إيل وعاي. إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولاً ودعا هناك أبرام باسم الرب» (١٣: ٣-٤). «اذكر أين سقطت وتُب» فقد رد الرب نفسه وحفظه وقت تيهانه في مصر وأنقذه من يد فرعون هو وكل من له وكل ما له، فقد زاد غناه بما أعطاه فرعون من مواشٍ وخيرات، فالرب حفظ عبده من أجل أمانته المطلقة كما أغناه أيضًا.

هناك خمس خطوات كان لابد لأبرام أن يجتاز حتي ترد نفسه: (١) صعد أبرام من مصر. (٢) سار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل. (٣) إلى المكان الذي كانت خيمته فيه البداءة (عاد إلى شركته الأولي التي كان فيها). (٤) إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولاً (عاد إلى حالته كشاهد وساجد للّه). (٥) ودعا هناك أبرام باسم الرب.

كان قد خرج مع أبرام من حاران بعد موت تارح، لوط ابن أخي أبرام ولم يكن خروجه ضمن دعوة أبرام علي أساس نظرته للرب،

ولكن كان متماشيًا مع واقعه فمكتوب «ولوط السائر مع أبرام» (٥) وليس السائر مع الرب.

لوط إذ كان أيضًا ذا بقر ومواشٍ وخيام فقد تزاحم رُعاة ماشيته مع رعاة ماشية أبرام وحدثت بينهما مخاصمة فيمن الأوْلَي بأماكن سقي الماشية، وهنا ظهر معدن إيمان أبرام إذ لم يحسب لنفسه الأولوية كمن هو الأكبر مقامًا وسنًا، لكنه كمثال للمؤمن الوديع تنازل للوط قائلاً لا تكن مخاصمة بيني وبينك، وبين رُعاتي ورعاتك لأننا نحن أَخَوَان. أليست كل الأرض أمامك اعتزل عني إن ذهبت شمالاً فأنا يمينًا وإن يمينًا فأنا شمالاً (٨، ٩). يا ليتنا نتمثل بأبرام كمثال لإنكار النفس من أجل الإخوة حسمًا للانشقاق. «فرفع لوط عينيه... فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل لوط شرقا... وسكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم. وكان أهل سدوم أشرارا وخطاة لدي الرب جدًا» (تك ١٣: ١٠-١٣). وهكذا كل من يختار بالعيان ويختار لنفسه يستبعد الرب من اختياراته، الأمر الذي لم يعمله أبرام «أبرام سكن في أرض كنعان» وهي دائرة مشيئة اللَّه له. أعاد اللَّه وَعْدَه لأبرام بعد اعتزال لوط عنه «ارفع عينيك وانظر...» فأبرام لم يرفع عينيه من نفسه كما فعل لوط ولكنه فعل بموجب أمر الرب «جميع الأرض التي أنت تري لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد» (١٤، ١٥). والوعد يتضمن «واجعل نسلك كتراب الأرض» (١٦) حينئذ انتقل أبرام بخيامه ليقيم

عند مزرعة أشجار البلوط المعمرة في شركة حقيقية مع الرب في منطقة حبرون التي معناها الشركة وهناك بني مذبحًا جديدًا.

تك ١٤

لما اختار لوط لنفسه سدوم كان لزامًا عليه أن يعاشر أهل العالم ويتماشى مع حياتهم ويشترك في أمورهم، وهذه المدينة بالذات مكتوب عن أهلها أنهم أشرار لدي الرب جدًا. كانت سدوم واقعة تحت جزئية من ملك شرير يسمي كدرلعومر اثنتي عشرة سنة ثم عصت عليه وفي السنة التالية جمع هذا الملك معه ثلاثة ملوك آخرين وشنوا حربًا علي مجموعة من شعوب المنطقة تعتبر ضعيفة وقليلة الحيلة وضربوها جميعًا وكان هذا تحذيرًا لملك سدوم وتمهيدًا للالتفات إليه وضربه وهو معه أربعة ملوك أُخر. سُبي لوط وكل من معه في هذه الحرب التي وقعت في وادي يسمي عمق السديم عند البحر الميت، حيث اشتهرت هذه المنطقة بوجود أخاديد كثيرة ينبع فيها الحُمَرْ الذي هو القار أو الزفت، وهي هكذا كانت تعتبر كخط دفاع طبيعي أمام المهاجمين.

حال سماع أبرام بخبر سبي أخيه لوط استجاب سريعًا لمشاعر المحبة الأخوية التي حركت قلبه، فجَرَّ غلمانه المتمرنين ثلاثمائة وثمانية عشرة رجلاً بالإضافة إلى رجال ممرا وأشكول وعانر الذين أقام معهم في بلوطات ممرا وهم كانوا أصحاب عهد معه، وبعدما انقسم علي هذه الجيوش ليلاً انقض عليهم وأنقذ لوطًا أخاه وكل من معه وكل ماله واسترد الأملاك.

ولكن في المسيح الذي لا يتغير إلى الأبد. هذه الذبائح الخمسة تشير إلى خدمة المسيح التي أداها في ثلاث سنين الأمر الذي تشير إليه حالة الذبائح الثلاثية (أي عمرها ثلاث سنين) من نحو خدمته (العجلة أو الثور في قوة الخدمة) وكفارته (عنز) وتكريسه (الكبش) وكونه شخصًا سماويًا (اليمام والحمام). الجوارح التي كان أبرام يزجرها تشير إلى قوات الشر الروحية التي لا تكف عن انتزاع علامات العهد وتسلبنا مكاسبنا في المسيح والذي نراه هنا أن أبرام لم يجامل هذه الجوارح بل كان يقاومها ويطردها كما أنه علينا نحن دائمًا أن نكون في يقظة إزاء عدم التسليم بأي ذرة من الحق فيما يخص سيدنا وعمله واسمه وكلمته.

« ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع علي أبرام سبات» (١٢) الرب عَرَّف أبرام من خلال هذا السبات رؤيا نبوية عن ذريته أنها لابد أن تجتاز الظلم والمشقة قبل قيامتهم، فنري التنور المدخن والمصباح المنير يجوز بين جثث تلك الذبائح فقد رأي ورتب اللَّه أن يتطهر قومه كما بنار من خلال الدينونة والمشقة وأيضًا يشرقون كمصباح منير في وسط الظلام وهي الأمور التي سيجتازون فيها في نهاية الضيقة العظيمة.

تك ١٦

«وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له» بعد نوال أبرام الوعد من اللَّه بأن يكون له وريث، وبعد محاولات فاشلة للإنجاب فإن ساراي كانت عاقرًا بخلاف أبرام فكان لا يزال قادرًا علي الإنجاب، تسلل اليأس إلى قلب ساراي فتصرفت بالجسد لِتُعَجِّلْ بإتمام وعد اللَّه لرجلها وكأن اللَّه يحتاج إلى من يساعده فقالت لرجلها «ادخل علي جاريتي لعلي أُرزق منها بنين» (٢) ويبدو أن أبرام أيضًا كان يعاني من انتظار إتمام الوعد فسهل ذلك عليه السقوط في سقطة سببت له عوائق ومشكلات كبيرة في حياته وحياة ذريته حتي يومنا هذا. استجاب أبرام لقول امرأته «فسمع أبرام لقول ساراي» (٢). كان لساراي جارية جَلَبَها أبرام معه من مصر مع العبيد اسمها هاجر وهي احدي المساوئ الناتجة من انحداره إلى مصر التي ترمز للعبودية وهكذا كانت هاجر رمز العبودية من ناحية الناموس (رسالة غلاطية).

يكلمنا سفر الأمثال عن أربعة أحداث تضطرب الأرض لها ومنها «أَمَة اذا ورثت سيدتها» (أم ٣٠: ٢٣) وهذا ما حدث مع ساراي. فما أن شعرت هاجر بأنها امتلكت ما ليس عند مولاتها من نحو الإنجاب «صغرت مولاتها في عينيها» (٤) الأمر الذي أثار حفيظة ساراي علي أبرام فحَمَّلتْهُ وزر هذا الوضع الذي كانت هي نفسها السبب فيه. أما

سقطة أبرام فهي أنه سمع لقول امرأته فسقط في خطية عدم انتظار الرب.

هربت هاجر من مولاتها لأنها أذلتها واتجهت نحو مصر موطنها الأصلي فالتقاها الرب عند عين ماء في البرية سمتها «بئر لَحَيْ» أي الحي الذي رأته عيني لأن الرب أشار عليها أن تعود راجعة إلى مولاتها وتخضع تحت يديها، فهي أَمَة في مشيئة الرب ويجب أن تظل لها هكذا وإذ أطاعت عائدة قال الرب لها «تكثيرًا أكثر نسلك... ها أنت حُبلي فتلدين ابنًا وتدعين اسمه إسماعيل وأنه يكون إنسانا وحشيًا» (١٠-١٢). فالرب سمع لمذلة هاجر لأنه رحيم علي كل خليقته.

لما ولدت هاجر إسماعيل كان عمر أبرام حينئذ ستة وثمانين سنة وحتي بلوغه التاسعة والتسعين لم يظهر الرب له ولا مرة، فهي ثلاث عشرة سنة عاني فيها أبرام من وجود ابن الجارية في البيت وهذا الوضع لم يكن بحسب مخطط اللَّه الأصلي حتي أتي الابن الشرعي إسحق. هذه الفترة تمثل وترمز لسلطان العبودية بالناموس إلى أن أتي الابن الموعود به لأبرام، فإنه مكتوب «كان لإبراهيم ابنان، واحد من الجارية والآخر من الحرة... الذي من الجارية وُلد حسب الجسد، وأما الذي من الحرة فبالموعد» (غل ٤: ٢٢، ٢٣).

اعتاد الشيطان الظهور كالحية الماكرة لكل من خرج لتوه من معركة منتصرًا، محاولاً بالمكر الذي استخدمه مع هؤلاء لإغوائها من خلال

الحية، أن يفقده نصرته وفرحته بإيقاعه في شرك الخطية. لكن الرب الذي لا ينعس ولا ينام ساهر علي أبرام فأعد له مقابلة قبل أن يلاقي ملك سدوم الذي هو رمز الشيطان، مع شخصية عظيمة هي شخصية ملكي صادق وهو رمز لملك السلام الذي هو الملك الحقيقي ربنا يسوع المسيح وكان أيضًا كاهنًا للّه العلي فقدم لأبرام خبزًا وخمرًا وباركه معطيًا إياه جرعة هائلة من التشجيع أمكنه بواسطتها مجاوبه ملك سدوم قائلاً «رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض لا آخذن لا خيطا ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك فلا تقول: أنا أغنيت أبرام» (تك ١٤: ٢٢، ٢٣). فإن هذا الملك كان في استقباله عند الرجوع من كسرة كدرلعومر قائلاً له «اعطني النفوس وأما الأملاك فخذها لنفسك» (٢١). هكذا الشيطان لا تهمه سوي النفوس ليقتنصها ويميتها وهو المكتوب عنه أنه كان قتالاً للناس منذ البدء. كيف كان لأبرام أن يفرط في النفوس التي حارب من أجلها وأنقذها في مقابل أملاك وأمور عينية قد أغناه الرب بمثلها غنيًا جزيلاً.

يشرح الروح القدس كل ما يلزم للمؤمن معرفته عن ملكي صادق الذي عَشَّرَهُ أبرام عُشرًا من رأس الغنائم بعدما باركه ملكي صادق فإن الأصغر يُبَارَك من الأكبر وهو وحده الذي اجتمعت فيه صفتا الملك والكاهن معًا فقد وُصِفَ أنه مشبه بابن اللّه (عب ٧: ١-١٠).

تك ١٥

«وبعد هذه الأمور» هي عبارة تفصل أحقاب ثلاث من حياة أبرام، ففي أصحاحات ١١-١٤ نري حياة الإيمان وطاعة الدعوة، أصحاحات ١٥-٢١ نري الوعد والرجاء، أصحاح ٢٢ نري فيه الامتحان ورائحة المحبة الذكية. إيمان – رجاء – محبة. فبعد رفض أبرام العرض المقدم له من العالم، فإن الرب يُقِرُه علي هذا الرفض ويعطيه التعويض الجزيل قائلاً «أنا أجرك الكثير جدًا» (١) فكما كان الرب ترسًا واقيًا وأجرًا كافيًا لأبرام فهو نفسه للمؤمن اليوم راحة حاضرة وسلام وأمن حاضر فلا يمكن لسهام العدو أن تخترق الترس الذي يحمي أضعف مؤمن.

نري في هذا الأصحاح أمرين هما: البنوية والميراث. فبعد كلام الرب لأبرام تَوَلَّدَ عنده إحساس بالحاجة التي في نفسه فقال للرب «ماذا تعطيني وأنا ماض عقيمًا؟» (٢) فقد كانت سارة عاقرًا وتساءل أبرام عمن سيرث بعده كل بركات اللَّه العظيمة له. نري أن البنوة والميراث مرتبطان معًا من خلال قول الرب «الذي يخرج من أحشائك هو يرثك» (٥) فالتبني هو أساس كل امتياز، ومقاصد اللَّه الأزلية هي «شاء فولدنا» ولكن الأمر قائم علي مبدأ القيامة، فجسد أبرام كان ميتًا إنما البركة هي في اله القيامة الذي لا يعسر عليه أن يعمل بالجسد الميت أو الممات «انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها... هكذا يكون نسلك» (٥). إن أبرام صدق كلام ووعد اللَّه «فآمن بالرب

فَحَسِبَهُ لـه بـرًا» (٦) فإيمـان أبـرام حُسِـبَ بـرًا لـه عنـد اللَّه لأنـه ربطـه بقدرة اللَّه علي الإقامة من الموت. فهو لم يعتبر جسده بل قوة القيامة التي للَّه. الرسول بولس يقول في ص ٤ من رسالة رومية «ولم يُكتب من أجله وحده أنه حُسِبَ له بل من أجلنا نحن أيضًا الذين سيُحْسَبُ لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات» (رو ٤: ٢٣).

«بماذا أعلم أني أرثها؟» (٨) سأل أبرام الرب، والرب جاوبه حالاً «خذ لي عجلة ثلثية وعنزة ثلثية وكبشًا ثلاثيا ويمامة وحمامة» (٩). وهذه لا تشير هنا إلى التكفير ولكن الرب لم يمنع عن أبرام العلامة التي طلبها ولم يمنع أن يضمن له الكل بواسطة الموت «فأخذ (أبرام) هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه. وأما الطير فلم يشقه. فنزلت الجوارح علي الجثث وكان أبرام يزجرها» (١٠، ١١). هكذا كان يُتَّبَعْ لإبرام عهد بين طرفين بالاجتياز بين القطع تثبيتًا للعهد (إر ٣٤: ١٨، ١٩) فالعجلة والعنزة والكبش واليمامة والحمامة كلها ذبائح عهدة تشير إلى المسيح، فالإنسان لن يجد الثقة في البحث في عواطفه لأنها تتغير وتتبدل.

تك ١٧

بعد انحدار أبرام بالجسد في محاولة الإتيان بالنسل الموعود به وبعدما تركه اللَّه ثلاث عشرة سنة، ها هو اللَّه يعود ليظهر له لما أتي توقيت اللَّه لحقيق الوعد. اللَّه يأخذ بيد عبده ليرفعه مجددًا إلى قمم

الشركة قائلاً له «أنا اللَّه القدير، سر أمامي وكُن كاملاً» (١). فأبرام لم يكن سالكًا بالاستقامة أمام اللَّه في أمر إسماعيل، ولما ظهر اللَّه له بعد هذا الصمت شعر بنخس الضمير «فسقط أبرام علي وجهه» (٣). من جراء الشعور بالمهابة والندم أمام اللَّه، الذي كان ينتظر نهاية أبرام في الجسد ببلوغه التاسعة والتسعين الأمر الذي يستحيل معه الإنجاب بعد، وليعلن اللَّه نفسه له «كاللَّه القدير » الذي يقدر علي الإقامة من الأموات. الاسم أبرام لم يعد يتناسب مع المقام الجديد فقال اللَّه «فلا يدعي اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أبًا لجهور من الأمم» (٥). كما تغير اسم امرأته «... ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة» (١٥). فإن كان اللَّه قد أعطي الإنسان في آدم سلطة تسمية الحيوان حين خُلقت لكنه لا يعطي سلطة تسمية الإنسان لآخر فهو الذي «يدعو خاصته بأسماء».

أعلن اللَّه لكل من إبراهيم وسارة نفسه كاللَّه القدير الذي يقدر علي الإقامة من الأموات من خلال جسد إبراهيم الذي صار مماتًا وعن طريق سارة التي صار مستودعها مماتًا في سن التسعين، وأنه يقدر أن يعطيه النسل الذي بحسب مقاصده فقال اللَّه لإبراهيم ردًا علي استعطافه إياه من جهة إسماعيل «بل سارة امرأتك تلد لك ابنًا وتدعو اسمه إسحق» ، «بإسحق يدعي لك نسل» وأعلن عن فكره لإبراهيم: -

١- هذا هو عهدي معك. ٢- تكون أبًا لجمهور كثير. ٣- لذلك تُسمي إبراهيم. ٤- أثمرك وأجعل أممًا وملوك منك يخرجون. ٥- أقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك عهدًا أبديًا. ٦- و أعطي لك ولنسلك أرض غربتك مُلكًا أبديًا.

العهد له مظهران: ١- مظهر خارجي مُعلن وهو تغيير الأسماء: لتناسب المقام الجديد فإبراهيم يعني أب مرتقع أي أب لجمهور عظيم من الأمم، سارة لم تعد أميرة بل الأميرة لأن فيها النسل الموعود به إسحق.

مظهر داخلي خفي وهو الختان: ويعني نهاية الجسد عند هذا الحد، وهو يُعمل بإجراء قطع في الغرلة لكل ذكر ابن ثمانية أيام وليد البيت والمُبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. هذه هي علامة العهد بين اللَّه وكل فرد من أبناء شعبه ويكون هذا هو ختم الإيمان.

معني الختان في العهد الجديد هو إقرار وتعهد بين المؤمن ونفسه أمام اللَّه بقطع الماضي والكف عن العوائد القديمة والعتيقة في كل أمر ليس بحسب مرضاة اللَّه أي وضع النفس في حكم الموت أمام اللَّه. هو عمل مؤلم علينا أن نُجريه مع أنفسنا كما كان يتم قديمًا حرفيًا في الجسد وهو المعبر عنه كتابيًا لمؤمني العهد الجديد «ختان غير مصنوع بيد» وهو رمز موتنا مع المسيح فنحن مختونون في المسيح روحيًا ولا نتكل علي الجسد فقد مُتنا معه في الصليب مع الأهواء والشهوات.

«في ذلك اليوم عينه خُتن إبراهيم و إسماعيل ابنه وكل رجال بيته...» (٢٧). وهنا نري طاعة الإيمان تتجلي فيما فعله إبراهيم فهو لم يتوانَ لليوم التالي لكنه في ذات اليوم تمم الأمر.

تك ١٨

«الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني.. و أنا أحبه وأظهر له ذاتي» (يو ١٤: ٢١). هكذا يتعامل الرب مع الذين قلوبهم كاملة نحوه وها هو يظهر ذاته لإبراهيم في زيارة إلهية من السماء متنازلاً في هيئة بشرية.

«لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون» (عب ١٣: ٢). هذه كانت من وصايا الرب التي حفظها إبراهيم إذ عاد إلى شركته مع اللَّه وأقام عند بلوطات ممرًا حيث حياة الدسامة الروحية والانفصال للَّه عن العالم «و ظهر له الرب عند بلوطات ممرًا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار» (١). عمق الشركة مع اللَّه أنارت لإبراهيم أن واحدًا من الرجال الثلاثة كان مُميزًا. «ركض لاستقبالهم عند باب الخيمة وسجد إلى الأرض» (٢). فهذا الشخص كان الرب نفسه الذي يحق له وحده السجود أما الآخران فهما ملاكان.

طلب إبراهيم من السيد أن يُعَوقهم حتي يغسل أرجلهم ويستريحوا تحت الشجرة ريثما يصنع لهم وليمة و لو إنه سماها كِسرَة خُبر «أسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلاثة

كيلات دقيق سميذًا اعجني و اصنعي خبز ملة» (٦) السميذ هو من أفخر أنواع الدقيق يكلمنا عنه حياة المسيح علي الأرض وتجانس صفاته الحلوة الرقيقة كتجانس ونعومة حبيبات الدقيق الذي منه يُصنع خبزًا لغذاء الإنسان «أنا هو خبز اللَّه النازل من السماء الواهب حياة للعالم». «ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصًا وجيدًا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله» (٧). العجل الرخص هو البقر صغير السن ويكلمنا أيضًا عن المسيح الذي ذبح في نصف أيامه لكي يهب حياة للعالم. وجد الرب في بيت إبراهيم ما يُشبع قلبه فتعشي معه.

عند دخول الرب البيت لابد من حدوث البركة فبعدما سأل عن سارة التي كانت في الخيمة، أحب الرب أنها تسمع كلمات البركة «إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن» (١٠) لم تصدق سارة ما سمعته فقد نظرت إلى نفسها ووجدت نفسها أنه قد انقطع أن يكون لها عادة كالنساء كما وأن رجلها قد شاخ فكان رد فعلها أنها ضحكت والرب عَلِمَ وقال لإبراهيم «لماذا ضحكت سارة... هل يستحيل علي الرب شيء» وأعاد الرب الوعد «في الميعاد أرجع نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن» (١٤) إن للرب ميعاده وتوقيته الذي يتمم فيه مشيئته وقصده «في وقته يسرع به» وليس قبل ذلك كما حاولت سارة أن تدفع رجلها لإنجاز وعد الرب فكانت كارثة ميلاد إسماعيل ووجوده في البيت ثلاثة عشر عامًا كانت مشقة وعناء للبيت كله.

انصرف الرجلان (الملاكان) من هناك وذهبا نحو سدوم ودمراها «إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدًا» (٢٠) وهذا ما كان الملاكان ذاهبان ليقيماه ولكن الرب أحب أن يشارك عبده إبراهيم فيما انتوى أن يفعله «هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله» (١٧) يتنازل الرب حينما تصل شركتنا معه إلى هذا المستوي الراقي الذي كان فيه إبراهيم فيرتضي أن أفكار مقاصده فإن «سر الرب لخائفيه». انزعج إبراهيم من الأمر قفد كان يعلم أن لوطًا وأسرته يقيمون في سدوم فتساءل في نفسه متحاورًا مع الرب كالصديق غير مصدق «أفتهلك البار مع الأثيم. عسي أن يكون بارًا في المدينة...حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر فيكون البار كالأثيم.. حاشا لك... أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً..» (٢٣- ٢٦) يتنازل الرب ويتجاوب مع عبده إذ يري من وراء قلب إبراهيم أساسًا للمحبة الأخوية تدفع أن يتشفع من أجل خاطر لوط أخيه «إن وجدت في سدوم خمسين بارًا فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم» (٢٦). ولما كان إبراهيم علي علم بمدي شر هذه المدينة فقد أستكثر وجود خمسين بارًا بها فأخذ ينحدر بعدد الأبرار الذين يمكن تواجدهم في المدينة حتي وصل إلى عشرة والرب تبارك اسمه يطيل أناته علي عبده في كل مرة كان فيها يعيد طلبته علي الرب بالاستجابة له، ولكن المؤسف أن المدينة لم يتواجد بها ولا حتي أربعة أبرار.

نقرأ في العهد الجديد «وإذ رمد مدينتي سدوم وعمورة حكم عليهما بالانقلاب واضعًا عبرة للعتيدين أن يفجروا. وأنقذ لوطًا البار مغلوبًا من

سيرة الأردياء في الدعارة. إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يومًا فيومًا نفسه البارة بالأفعال الأثيمة» (٢ بط ٢: ٦ – ٨).

فما لم ينر لنا الوحي هذا الجانب الهام من حياة لوط ويقولها صريحة لما كان لأحد من كان أن يعتبر أن

لوط كان بارًا عند الرب.

تك ١٩

«فجاء الملاكان...وكان لوط جالسًا في باب سدوم» (١) نستطيع أن نعدد الفرق الشاسع بين إبراهيم وبين لوط من خلال ما سطْره الوحي عن كل منهما الأول في أصحاح ١٨ والأخير في هذا الأصحاح: فالرب (ومعه الملاكان) لما جاء إلى إبراهيم وجده جالسًا عند باب الخيمة فقد كانت حياته متغربة ومتضعة وحَسِبَ نفسه غريبًا في الأرض فكانت جلسته في باب الخيمة لها معانيها الروحية الجميلة. أما لوط فلأنه يومًا اختار لنفسه وكان ساعيًا برؤية العيان فقد اجتذبه ما قدمه له العالم فساير أهله حتي صار من أعيان المدينة حتي وصل إلى أن أصبح أحد قضاتها وكان جالسًا في باب سدوم حينما زاراه الملاكان.

الزيارة التي تمت لإبراهيم سُرَّ فيها الرب أن يظهر لعبده ولم يُسَرْ بالذهاب لزيارة لوط وإنما أرسل له الملاكين لكي ينقذاه بإخراجه من المدينة قبل أن يهلكاها. إبراهيم لم يسجد إلا ليقينه أن من سجد له هو الرب.

أما لوط فسجد للرجلين الأمر الذي يظهر الفرق الشاسع في الإدراك الروحي بينهما والراجع سببه إلى تفاوت نسبة الشركة الروحية مع الرب بين كليهما. عند خيمة إبراهيم سر الرب ومعه الرجلان (الملاكان) أن يكونوا في ضيافته أما لوط فحتي الملاكان لم يستحسنا حتي الدخول إلى بيته «بل في الساحة نبيت» (٢). إبراهيم صنع لضيوفه وليمة من خبز ملة من دقيق سميذ وعجلاً رخصًا أما لوط فخبز لهم فطيرًا.

رَضِي الملاكان أن يبيتا عند لوط بعد إلحاحه عليهما ولكن سرعان ما تجمهر رجال مدينة وأحاطوا ببيت لوط مُطالبين إياه بأن يُخرج لهم الغريبين اللذين عنده حتي يفعلوا بهما ما لا يليق وهذه كانت خطية سدوم وهي الزنا بالشذوذ الجنسي (رو ١: ٢٦- ٢٧) وهكذا كان لوط يعاني من معاملة أهل العالم لأنه أرتضي يومًا الانغماس في أموره الأمر الذي أدي به أن يقدم ابنتيه عوضًا عن الرجلين فقد اعتبر أنه مسئول عن سلامتهما لمجرد أنهما دخلا تحت سقفه «مغلوبًا من سيرة الأردياء في الدعارة (٢بط ٢: ٧) فكان علي وشك أن يدفع ابنتيه إلى ممارسة الدعارة.

تدخل الملاكان لمنع حدوث هذا المشهد فضربا كل الرجال المحيطين بالبيت بالعمي حتي لم يقدروا أن يتوصلوا للباب، كما عَجَلا لوطًا بالإسراع إذ أخبراه أن اللَّه أرسلهما ليهلكا المكان فخرج حينئذ ليشهد

لأصهاره بخطورة الأمر «أخرجوا من هذا المكان لأن الرب مهلك المدينة، فكان كمازح في أعين أصهاره» (١٤) وهكذا المؤمن البعيد عن الشركة و المنغمس مع العالم في أموره حينما يريد بأمانة أن يشهد للرب مرة، فلابد أنه يقابل الاستهزاء لأن من كلمهم لم يشاهدوا فيه القدوة إزاء ما شهد به.

لما توانى لوط قام الملاكان بإمساكه بيده وامرأته و ابنتيه وأخرجاهم خارج المدينة لأن الرب أشفق عليهم كما ذكر إبراهيم حين تشفع لهم فقد قال الرب «أسرع أهرب إلى هناك لأني لا أستطيع أن أفعل شيئًا حتي تجيء إلى هناك » (٢٢) وكان لوط قد جادل مع الرب أن يخرجه إلى صوغر مدينة صغيرة بدلاُ من الجبل خوفًا من أن يقتله البشر بحسب ما تصور، كما أن الرب كان أوصاهم في هروبهم «لا تنظر إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة. اهرب إلى الجبل لئلا تهلك» (١٧) ولكننا نقرأ عن امرأة لوط التي كانت سدوم في قلبها ساكنة، فافتقدتها ونظرت إليها فصارت عمود ملح لأنها لم تحفظ وصية الرب «أنظروا امرأة لوط» (لو ١٧: ٣٢) فهي صارت عبرة لكل من لم يتخلص من محبة العالم والأشياء التي في العالم.

الحادثة هي تحايل ابنتا لوط عليه وسقتاه خمرًا وتبادلتا الاضطجاع معه حتي يكون لهما نسل في الأرض حيث لم يكن رجال في الجبل سوي أبيهما. نتج عن هذه الكارثة أن البكر أنجبت موآب والصغرى بن

عمي وهما أبو الموآبين وأبو بني عمون إلى هذا اليوم اللذان صارا فيما بعد من أعداء شعب اللَّه.

هكذا يحدث دائمًا حينما يتم التصرف بالجسد بعيدًا عن الشركة وسؤال الرب، فالنتائج تكون دائمًا كارثية كما حدث في أمر ولادة إسماعيل.

تك ٢٠

«و انتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب و سكن بين قادش و شور و تغرب في جرار» (١) ترك إبراهيم المكان الذي تمتع فيه بالشركة مع الرب لكي يتغرب في منطقة معروفة بالجفاف. ما الذي دفع إبراهيم لهذا التصرف؟ يبدو أن إبراهيم صُدم صدمة شديدة و هو يتأمل في منظر سدوم و هي تحترق و ترسخت في نفسه معاني قداسة اللَّه الذي و إن كان يتأنى لكنه في النهاية يقضي علي الشر. كما أنه قد يكون متفكرًا في أن لوط ربما قد يكون أُخِذَ وسط الحريق و أن شفاعته لدي الرب لأجل سدوم لم تجد من الرب استجابة لعدم وجود عشرة أبرار في المدينة. كانت النتيجة أن الخوف تملك إبراهيم فبدأت تصرفاته و قرارته تصاب بالارتباك الذي يؤدي إلى الخطأ تلو الخطأ فقال عن سارة «إنها أختي» و وقع في المرة الثانية في نفس الخطأ. هذه الكذبة فتحت لملك جرار باب الأحقية أن يطلب سارة ليأخذها لنفسه لتكون زوجة الأمر الذي أدي إلى تدخل اللَّه بنفسه

تدخلاً مباشرًا و بصفه شخصية لمنع حدوث هذا الأمر لأنه يتعلق بتعطيل و تخريب مقاصده في إتمام خطته للإتيان بالوارث الموعود به لإبراهيم من سارة و الذي من نسله سيأتي المسيح حسب الجسد. «ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل» (٣) بهذه الكلمات الصادمة و الحاسمة كلم اللَّه أبيمالك شخصيًا. فلا نستبعد أن تكون هذه إحدى حيل الشيطان التي سبق و حاول بها أن يعيق إتمام مشيئة اللَّه مثلما استخدم هيرودس حين ولادة الرب يسوع من العذراء مريم أن يأمر بقتل كل أطفال بيت لحم من سن السنتين فما دون.

رغم أن أبيمالك كان صادقًا حينما قال «بسلامة قلبي فعلت هذا» (٥) لأنه كان لا يعلم أنها امرأة إبراهيم بل هو علي علم أنها أخته كما هي نفسها قالت «هو أخي»، لكنه لم يكن ليفعل بنقاوة يده لأنه كان مزمعًا أن يمسها لأنه لهذا استدعاها فالأمر بالنسبة إلى اللَّه ليس أن أبيمالك يشعر بالندم من عدمه لأن اللَّه كان يدافع عن خطة إتمام مشيئته فكان محتمًا أن اللَّه يتدخل «و أنا أيضًا أمسكتك عن أن تخطيء إليَّ لذلك لم أدعك تمسها» (٦). أعلن اللَّه لأبيمالك أيضًا كينونة إبراهيم «إنه فيصلي لأجلك فتحيا» (٧) كما أعاد اللَّه علي مسامعه تحذيره له إن لم ينفذ أمره برد المرأة لرجلها بأنه حتمًا سيموت و كل من له.

تك ٢١

«افتقد الرب سارة كما قال...وفعل الرب... كما تكلم. فحبلت... في الوقت الذي تكلم اللَّه عنه» (١، ٢). نعم إن الرب في وقته يسرع به وإن توانت فانتظرها لأنها إتيانًا تأتي ولا تتأخر. هذه هي مواعيد اللَّه ليس هو إنسان فيندم فليس إجبار عليه أن يعطي وعدًا أو يقول ما لا يريد. الافتقاد الإلهي مؤسس علي وعد «كما قال» و مؤيد بفعل «وفعل الرب لسارة كما تكلم» ومتمم في وقته (أي توقيت الرب) أي بعد أن يتنحى الجسد تمامًا سواء في إبراهيم أو في سارة فيكون الفضل للَّه وحدة وليس للإنسان أي تدخل فيه وهذا ما يعبر عن قدرة اللَّه علي الإقامة من الأموات الدرس الذي ترسخ في وجدان إبراهيم. دعي إبراهيم المولود له من سارة باسم إسحق وختنه في اليوم الثامن كما أمره الرب يوم ختن إبراهيم و إسماعيل وجميع الشعب منذ أربعة عشر عامًا وأما عهد اللَّه فهو مع إسحق «بل سارة امرأتك تلد لك ابنًا وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًا لنسله من بعده» (تك ١٧: ١٩).

الفطام هو المرحلة التي فيها يقدر المولود من اللَّه أن يسير وحده من دون مساعدة آخر وبموجب ما آمن وأقتني به من حق اللَّه عليه بعدما تغذي باللبن العقلي ما يكفيه للسلوك بحسب الحق. لذلك لم تُصنع الوليمة لإسحق وقت ولادته ولا حتي وقت ختانه ولكن عند الفطام أي عند الولادة الثانية حيث يكون الفرح الحقيقي. هكذا ومن بعد الفطام

وقد بدأ إسحق يأخذ وضعه في البيت ظهرت حقيقة مشاعر إسماعيل الذي يرمز إلى الجد الفاسد «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح» (٩). أي يسخر ويستهزئ وكان سبب تكدير في البيت فمولد إسحق كشف عن صفات ابن الجارية إذ كان يضطهد ابن الموعد فإن حصول المؤمن علي الطبيعة الجديدة هو سبب انطلاق شرور وسخرية الطبيعة القديمة «المولود من الجسد جسد و المولود من الروح هو روح». الولادة الجديدة ليست هي تغييرًا في الطبيعة القديمة لأن هذه لا يمكن تهذيبها وإصلاحها ولكن هي اكتساب طبيعة جديدة وهكذا يكون في المؤمن الطبيعتان وكل منها يقاوم الآخر «الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد». «قالت سارة لإبراهيم أطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق» (١٠). كانت سارة تتكلم بحسب قصد اللَّه ولكن "إبراهيم" قبح الكلام جدًا في عينيه بسبب ابنه (١١). فعاجله اللَّه بالقول «لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لأنها بإسحق يدعي لك نسل وابن الجارية أيضًا سأجعله أمة لأنه نسلك» (١٣). فيجب طرد إسماعيل بالكلية لكي تكون الآمال في شخص إسحق وحده فإنه بحسب شرح رسالة غلاطية أصحاح أربعة فإن الجارية هاجر تشير إلى عهد الناموس ويشير ابنها إلى جميع الذين هم من أعمال الناموس أو من مبادئه. الجارية إنما تلد العبودية ولا يمكنها أن تلد حرية لأنه ليس في استطاعتها فشكرًا لإلهنا فقد

انقطعت علاقتنا نحن المؤمنين بالناموس الذي وإن كان لم يمت (لأنه جزء من كلمة اللَّه) لكننا نحن الذين متنا له (أي الناموس الذي كنا ممسكين فيه) والحرية هي إننا متنا للناموس بجسد المسيح لكي نصير لآخر الذي أُقيم من الأموات لنثمر للَّه. إذ لسنا أولاد الجارية بل أولاد الحرة التي هي النعمة أيضًا.

لكن إبراهيم بكر صباحًا وصرف هاجر وابنها في طاعة الإيمان الذي لا يتوانى، لقد نفذ ما طلبه منه اللَّه رغم أن ذلك هو عين ما طلبته سارة وكان حينئذ قبيحًا في عينيه. نري من الناحية الأخرى اللَّه يجري أعمال العناية مع الجارية وابنها لأنهم من خليقته، فبعد ما صرفها إبراهيم تاهت مع الولد في الصحراء بعد نفاذ الماء منها، فأعطاها اللَّه أن تبصر بئر ماء وأنقذت به ابنها ونفسها فإن اللَّه قد قال لإبراهيم «ابن الجارية أيضًا سأجعله أمة لأنه نسلك» (١٣).

هناك بئر ماء كان إبراهيم قد حفرها ورجال أبيمالك اغتصبوها منه. جاء أبيمالك إلى إبراهيم في مشهد كرامة يختلف كل الاختلاف عن المشهد السابق الذي فيه عَيَّرَ أبيمالك إبراهيم لأنه أخطأ فيا قاله عن سارة «هي أختي». أما في هذا المشهد فأبيمالك و رئيس جيشه يقولان لإبراهيم «اللَّه معك في كل ما أنت صانع» (٢٢) وكان أبيمالك يبتغي أن يهادن إبراهيم ورجاله لا يغدروا به فعقد إبراهيم معه ميثاقًا تسمي باسم المكان الذي تعاقدوا فيه وهو بئر سبع إذ حلفا كلاهما.

الآن إبراهيم صار في حالة روحية عالية وصار في موقف قوة وكرامة، حينئذ عاتب أبيمالك فيما يخص بئر الماء التي اغتصبها رجاله ونرى هنا المؤمن حينما يكون مرفوعًا روحيًا وهو يدافع عن مصادر الارتواء التي تمثل كلمة اللَّه والمشبه هنا ببئر مياه لأنها ذات أهمية قصوي لحياة المؤمن.

تك ٢٢

هذا الأصحاح فيه أبرز الرموز عن شخص المسيح في العهد القديم ونري فيه السجود الحقيقي الذي تصاحبه طاعة حقيقية وكيف ينبغي أن يقدم السجود. كما نري أعظم مثال لموت الرب وقيامته في تقديم إبراهيم لإسحق ابنه كمحرقة علي المذبح ثم العودة معه كما قال للغلامين «ونرجع إليكما» ونري أيضًا ارتباط اليوم الثالث دائمًا بالقيامة (نذهب – نسجد – نرجع) «ذهبا كلاهما معًا» وردت هذه العبارة مرتين في هذا الأصحاح وهي أعظم تصوير لتوافق الابن مع الأب في كل خطوة من خطوات الرب علي الأرض رغم قساوة التجربة إنسانيًا التي خاضها إبراهيم كأب عَلِمَ أنه سيذبح ابنه «اللَّه لم يشفق علي ابنه» طاعة لمشيئة اللَّه كما نري خضوع الابن العجيب وتسليمه بما سيحدث له، ففي هذا كان لابد أن اللَّه يمتحن إبراهيم ليعرف أنه خائف اللَّه ولم يمسك ابنه وحيده عنه فكانت مكافأة اللَّه له ببركات جزيلة قائلاً «لأنك سمعت لقولي «فامتحان إبراهيم كان في ثلاث

مواد: ١- امتحان الطاعة هل مازال إبراهيم مستعدًا لاستمرار طاعته للَّه علي الدوام حتي لو كان المطلوب منافيًا للمنطق ولكن نتيجة الامتحان هي نجاح إبراهيم وشهادة الرب له «من أجل أنك سمعت لقولي». ٢- امتحان المحبة: من هو الأغلى لك يا إبراهيم العطية أم العاطي ؟ ونجح إبراهيم في هذا أيضًا لأنه أعطي أولوية محبته للَّه أكثر من ابنه وحيده إسحق الذي يحبه والذي تركزت فيه كل مواعيد اللَّه له، وليقينه أن اللَّه أمين علي تحقيق وعوده، حَسِبَ أنه قادر علي إقامة إسحق من الموت بعد تقديمه ذبيحة كقول الرب. فنجح إبراهيم. ٣- امتحان إيمانه: «بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مُجَرَّبْ» هو أعلي امتحانات الإيمان فهو لم يكن يصنع تمثيلية لكنه كان مُجربًا وهو ينفذ مطاليب اللَّه فلم يتوان «فبكر إبراهيم صباحًا».

العهد القديم نري فيه العهد الجديد من خلال ظلال الناموس، والعهد الجديد نري فيه العهد القديم مكملاً.

فهذا الأصحاح بذرة ثمينة للعهد الجديد نقلها الروح القدس من مخزن مشورات اللَّه لينعش بها إيمان أصحاب الفهم الروحي. ضحي إبراهيم بماضيه حينما ترك أرضة وعشيرته وذكريات صِباه، ضحي بحاضره حينما طرد إسماعيل وأمه وكان مزمعًا بإيمان واثق أن يضحي بمستقبله حيثما ذهب ليذبح ابنه مستودع المواعيد بحسب طلب الرب، وهذه المرة كانت التضحية مناقضة لكل منطق لكنها

امتزجت بطاعة إيمان لذاك الذي يقدر أن يقيم من الأموات. كما أن توقيت التجربة كان في غير الوقت المناسب حيث جاءت بعد القول «بعد هذا الأمور» التي اجتاز فيها إبراهيم في تجارب كثيرة ومتنوعة تدرب فيها علي نمو الإيمان حتي أتي الابن الموعود به توطئة لبداية حالة استقرار لكن ها هو مُطالَب بتقديم ابنه الحبيب محرقة. كما تبدو التجربة ضد العدل فكيف يأمر اللَّه خادمًا مطيعًا كإبراهيم ويطلب منه هذا الطلب فقد كانت التجربة هكذا فوق الطاقة أيضًا لأنه لم يطلب منه تقديم أحد أغنامه أو حتي أحد العبيد لكنه كان ذاهبًا لذبح ابنه الغالي.

القصة تدور حول طاعة إسحق وتضحية إبراهيم وهي الرائحة الذكية التي تفوح عن الكفارة والصليب «وحدث بعد هذه الأمور أن اللَّه امتحن إبراهيم» (١) كان لابد أن اللَّه يمتحن إبراهيم كرجل إيمان ليظهر له كفؤًا لإبراز الإيمان كاملاً فاللَّه يريد أن يري في أولاده إيمانًا مزكي بفحص أعماق القلب ليتبين خلوه من الرياء أو الادعاء الأجوف فيضع يده علي أعز شيء لقلبه «خُذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق و أصعده هناك محرقة» (٢) ونلاحظ أن إبراهيم وإسحق كانا في فكر واحد «وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك» (٥) ثم نقرأ «فذهبا كلاهما معًا» (٦) ففي هذه صورة لتوافق أسمي بين الآب وابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح. ثم نقرأ بعد ذلك «بني هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحق ابنه ووضعه علي المذبح فوق الحطب ثم مدَّ يده

وأخذ السكين ليذبح ابنه» (١٠) هذا هو الإيمان الحقيقي الذي يتبرهن بالامتحان ففي تاريخ إبراهيم لا توجد حادثة تمجد فيها اللَّه مثل حادثة جبل المريا لأن إبراهيم كان مُستندًا علي اللَّه نفسه أكثر من البركات.

إن اللَّه الذي أشفق علي إسحق «لم يشفق علي ابنه بل بذله من أجلنا أجمعين «ففي الجلجثة لم يُسمَع صوت العفو من السماء بل أكمل الفداء وأسلم الابن الروح فختم علي سلامنا الأبدي. علي أن خضوع إبراهيم ثبت تمامًا وصدق اللَّه عليه «الآن علمت أنك خائف اللَّه فلم تمسك ابنك وحيدك عني» (١٢) المؤمن لا يكتشف حقيقة اللَّه إلا بالمرور وسط الامتحان فهو يريد منا أن نختبر عمق غناه بالشركة معه عمليًا، ففي ذات الرب كل أعواز الرب لذلك قال الرب «بذاتي أقسمت» إذا لم يكن له أعظم يقسم به أقسم بنفسه السجود الحقيقي هو التضحية بالأعز لدينا ليكون الرب هو الأعز وهكذا عندما نأتي للسجود ينبغي أننا نذبح إسحاقنا ونقدمه له ذبيحة. «وإذ كبش وراءه ممسكًا بقرنيه» (١٣) هذا ما قدمه إبراهيم ذبيحة عوضًا عن ابنه، وإذ كانت قوة الكبش في القرون فهذا يرمز إلى ربنا يسوع الذي تنازل عن قوته وأتي بالضعف والاتضاع حتي يقدم نفسه بالموت علي الصليب ذبيحة للَّه عوضًا عن كل من يؤمن. إسحق لم يكن يعرف الغرض من الرحلة لكن الرب يسوع كان يعلم بكل ما يأتي عليه لأنه كان يشتري بدمه الكنيسة عروسه الذين هم المؤمنون في العالم لذلك

نرى التمهيد لدخول رفقة في الصورة وهي أعظم رمز للكنيسة كونها ستقترن بإسحق. وهكذا نري في هذا الأصحاح أصعب الامتحانات وأعظم النتائج.

تك ٢٣

«و كانت حياة سارة مئة وسبعًا و عشرين سنة». ماتت سارة في حبرون «فأتي إبراهيم ليندب سارة و يبكي عليها» (١- ٢) تخللت حياة إبراهيم مواقف كثيرة بين صعود وهبوط لكن لم نقرأ عن مرة واحدة أنه بكي إلا عند موت سارة.

هو يوم مختلف في حياته فبعد سروره بمجيء إسحق بكي غزيرًا عند موت سارة فللفرح وقت و للحزن وقت آخر. جدير

بالذكر أن المرأة الوحيدة التي ذكر فيها سني حياة كانت هي سارة نظرًا لمكانتها. كان لابد من موت سارة من حيث أنها

ترمز إلى شعب إسرائيل الذي رفض المسيح، فَنَحَّاهُ اللَّه موقتًا حتي يُفسَحْ المجال للكنيسة عروس المسيح كشاهدة أمينة للمسيح والتي هي رفقة هي رمز عظيم لها في ارتباطها بإسحق. سارة تحدثنا عن موت زوجة محبوبة خاضعة و مطيعة لزوجها تُبَجِّلُهُ منادية إياه «سيدي»، مائة سنة عاشتها مع إبراهيم منها ٥٧ سنة في غربة، كما لا نغفل كونها أمًا فاضلة لإسحق ربته علي الطاعة الأمر الذي تجلي في خضوعه لأبيه حيث أخذه ليقدمه محرقة للرب.

«وقام إبراهيم من أمام ميته» (٣) رغم حزن إبراهيم العميق لكنه لم يستغرق فيه ولم يستسلم له وكأن الحياة توقفت ولكنه تشدد بالرب القادر أن يقود حياته في كل ما تبقي منها بحسب مشيئته الصالحة، والتي وإن سمح فيها أن يأخذ عزيزًا لنا فهو يبتغي من وراء ذلك كل الخير لنا، فنري إبراهيم يتحدث مع الأمميين كالغريب طالبًا منهم ملك قبر لكي يدفن ميته كما نسمع شهادتهم عنه وكيف كان مكرمًا وسطهم مُتحليًا بخصال عفيفة فأجابوه «أنت رئيس من اللَّه بيننا» (٦) رغم كونهم وثنيين فعرفوا عن اللَّه من سلوك إبراهيم كغريب في الأرض، كان إبراهيم عفيف النفس جدًا فكما لم يقبل من ملك سدوم خيطًا أو حتي شراك نعل، ها نحن هنا نراه يأبي إلا أن يدفع ثمن قطعة الأرض التي طلبها لأنهم أكرموه برغبتهم أن يهدوه الأرض ليدفن فيها ميته رغم أنه وارثها ومالكها بالوعد من اللَّه حينما باركه وأعطاه الأرض ميراثًا «إن أرضت الرب طرق إنسان، جعل حتي أعداؤه يسالمونه»، «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء في الأرض» (عب ١١: ١٣) ونحن كورثة إبراهيم في الإيمان ينبغي أن يترسخ فينا هذا المبدأ وهو أننا غرباء في هذه الأرض ونزلاء ليس لنا فيها وطأة قدم ولا نبتغي فيها مُلك.

مغارة المكفيلة هي الأرض التي دفع فيها إبراهيم أربع مئة شاقل فضة حيث دفن سارة امرأته ولنا في معني كلمة المكفيلة درس روحي

عظيم «لها بابان» ما معناه أن الداخل له منها خروج من الباب الثاني وهذا ما نستوعبه بالإيمان نحن المؤمنين عالمين يقينًا أن لنا قيامة من الأموات «لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع» (١كو ١٥: ٢٢) فلا نحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم ونحن نتوقع مجيء ذاك الذي هو القيامة والحياة.

تك ٢٤

هو من أطول أصحاحات الكتاب المقدس لأنه يحكي قصة الحب العجيب التي تتكلم عن نعمة اختيار الكنيسة في الأزل ونرى فيها: إبراهيم ← الآب، العبد ← الروح القدس، إسحق ← الرب يسوع، رفقة ← الكنيسة.

كانت رفقة في مكان بعيد تمامًا ولم تكن تدري أو تعلم شيئًا عن مقاصد إبراهيم من نحو ابنه إسحق وماذا تكلم به إبراهيم لعبده الذي يحكي مقاصد محبة اللَّه في الأزل لإحضار عروس عفيفة لابنه. لنا في هذا الفصل تعليم في ثلاث نقاط: -

(١) القَسَمْ: إن دعوة رفقة لهذا المقام السامي كانت مبنية علي قسم صار من إبراهيم إلى عبده، علي أن رفقة نفسها لم تعلم شيئًا من ذلك رغم كونها موضوع القسم، وهكذا هو الأمر مع كنيسة اللَّه أفرادًا و إجمالاً. مقاصد اللَّه من جهة الكنيسة كانت قبل تأسيس العالم ولا يمكن فصلها عن أفكار اللَّه من جهة مجد الابن. الغرض من

القَسَمْ هو استحضار شريكة لابنه ورغبة الآب نحو ابنه هي التي قادته إلى رفع شأن رفقة إلى هذا المقام السامي فالابن هو غرض أفكار و مشورات اللَّه.

إذن اللَّه قاصد أن يصنع عرسًا لابنه والكنيسة هي العروس المطلوبة ستكون شريكة الابن في كل ما أورثه الآب من مجد ومقام كما هي شريكة في كل الحب الذي أحبه اللَّه به «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت في ليكونوا مُكَمَّلين إلى واحد» (يو ١٧). فإن أفكار قلب المسيح من جهة الكنيسة فهي مدعوة لتكون مثله. كل ما لإسحق صار لرفقة لإن إسحق نفسه صار لرفقة وكل ما للمسيح أصبح ملكًا للكنيسة وسيكون سرور المسيح في الأبدية أن يُظهر ما هو غني مجده وجماله وميراثه في الكنيسة «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي لينظروا مجدي» (يو ١٧).

(٢) الشهادة: كانت شهادة العبد إعلان الآب والابن وكم هو غني الآب الذي أعطي كل شيء للابن الوحيد موضوع السرور والمحبة فكان العبد يشهد ويتكلم عن غني سيده إبراهيم «الرب قد بارك مولاي جدًا وأعطاه غنمًا و...وولدت سارة امرأة سيدي ابنًا لسيدي... فقد أعطاه كل ماله» (٣٥- ٣٦) والرب يسوع قال للآب «وكل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي» (يو ١٧: ١٠) وهكذا قصد العبد أن يجتذب رفقة بإعلان ما كان لإسحق والروح القدس الآن يجتذب الخُطاة من

عالم الخطية إلى قداسة الاتحاد بالمسيح فالروح لا يجتذب الإنسان بجعله ينظر إلى نفسه ولكن يوجه نظره إلى المسيح «يأخذ مما لي ويخبركم». أساس الكنيسة هو إعلان الآب شخص المسيح بالروح القدس فلما اعترف بطرس بأن المسيح هو ابن اللَّه الحي كان جواب المسيح له «إن لحمًا ودمًا لم يُعلن لك لكن أبي الذي في السموات».

(٣) النتيجة: شهادة قلب عبد إبراهيم انغرست في أعماق قلب رفقة فانخلع من كل ما حولها لأنه إن كان الرجاء بأنها ستكون عروسًا لإسحق وارثة معه في كل أمجاده، فالانتظار في بيت أبيها لترعي غنم يكون احتقارًا لكل ما عرضته عليها نعمة اللَّه. لم يكن ممكنًا إزاء الأخبار التي سمعت بها أن تستخف بها فهي لم تكن قد أبصرت إسحق بعد ولا ورثت ما وُعِدَت به لكنها آمنت بالخبر وصدقت الشهادة وقبلت العربون وهذا فيه ما يكفي لقلبها فلم تبالى بمشقة الطريق وقبلت السير برفقة ذاك الذي أخبرها عن غرض موضوع قدامها ومجد عتيد أن يستعلن هكذا لم تتردد في الإجابة وقالت «أذهب». هذا ما يجب أن يكون حال الكنيسة في قيادة الروح القدس لها طوال رحلة البرية هو الذي سروره أن يأخذ مما للمسيح ويخبرنا لا شك أن العبد كان يقضي طوال مدة السفر هامسًا في آذان رفقة من جديد تلك الأخبار المفرحة الأمر الذي كان يشددها ويحفز قلبها لمقابلة العريس.

لا نغفل أهمية الصلاة المستمرة لطلب وجه الرب في كل خطوة نخطوها فلا غني لنا علي أن يسير الرب بنوره أمامنا لكي يُنجح

طريقنا وهذا الأمر نراه في عبد إبراهيم «أيها الرب إله سيدي إبراهيم يَسِّرْ لي اليوم واصنع لطفًا إلى سيدي إبراهيم» (١٢) وهكذا في كل مرحلة كان يجتازها كان يعود للصلاة وعرض الأمر من جديد علي اللَّه واللَّه يستجيبه بسرعة «وإذ كان لم يفرغ بعد من الكلام إذا رفقة....» (١٥) وكانت الفتاة تصنع تمامًا ما كان يطلبه العبد من الرب كدليل علي إنجاح الرب لمقصده.

«فَوَضَعْتُ الخزامة في أنفها والسوارين الذهب علي يديها» (٤٧) العبد هو الذي قدم الهدايا هو الذي زين الفتاة وكذلك الروح القدس هو الذي أهَّل الكنيسة بعطايا المسيح الصاعد إلى السماء التي هي العطايا والمواهب زينة الكنيسة الحقيقية.

تك ٢٥

نري في هذا الأصحاح أمانة اللَّه الذي وعد إبراهيم أن يبارك نسله فهو إله لنسله أيضًا «وكان بعد موت إبراهيم أن اللَّه بارك إسحق ابنه» (١١) إذ سكن إسحق عند بئر لحي رئي أو الحي الذي يُري ويدبر علم أنه يقدر علي تدبير كل حياته. كما نري حكمة اللَّه الذي حينما يمنع فلابد له من حكمة وراء ذلك «وصلي إسحق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقرًا فاستجاب له الرب» (٢١) فالرب في حكمته يدرب عبده علي الصبر والانتظار واختبار استجابة الصلوات. نري أيضًا علم اللَّه السابق «وتزاحم الولدان في بطنها فقالت أن كان هكذا فلماذا أنا. فمضت لتسأل الرب» (٢٢) نري أن رفقة لم تكن تعرف الصلاة ولكن

يبدو أنها تعلمت من إسحق وفي صلاتها استجاب الرب لها «في بَطنِكِ أمتان ومن أحشائِكِ يفترق شعبان. شعب يقوي علي شعب وكبير يُستَعبَد لصغير» (٢٣) فعلمت أن الرب يعلم الآتيات وأنه له خطة وهو عظيم سيتولى تدبير كل شيء فاستراحت لإجابة الرب عليها.

إسحق لم بتعجل الإنجاب كما فعل أبوه فقد ظل عشرين سنة من سن الأربعين حتي الستين ينتظر النسل فقد كان مؤمنًا بكلام الرب الذي قال لإبراهيم «بل سارة امرأتك تلد لك ابنًا وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًا لنسله من بعده» (تك ١٧ ١٩) فقد جاء في تواضع رغم ثقته أن الرب سيعطيه النسل لكي يسأل الرب من جهة زوجته لأنها كانت عاقرًا «فاستجاب له الرب فحملت رفقة امرأته» (٢١).

قبل موت إبراهيم عن مئة وخمسة وسبعين سنة مكتوب «أعطي إبراهيم إسحق كل ما كان له. وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصَرَفُهُم عن إسحق ابنه شرقًا وهو بعد حي» (٦) فإن إسحق وارث لكل ما لإبراهيم لأنه ابن الحرة فمكتوب أيضًا عن إسماعيل وبنيه أنهم أصحاب ديار وحصون وهم أيضًا رؤساء قبائل أي أنهم أصحاب الدنيا ومحبو العالم فلم يغفل عنهم الرب إذ أعطاهم نصيبهم في الأرض، أما ابن الموعد فله عند الرب الحسابات الروحية وحده رغم تغربه في الأرض الموعود بها.

«في بطنك أمتان... شعبان» افترق يعقوب عن عيسو الذي هو أدوم وصارا شعبين و زادت بينهم الفرقة إلى أبعد الحدود فكانا متعاديين إلى الحد الذي منع فيه أدوم شعب إسرائيل (بني يعقوب) من مجرد المرور بالرِجل فقط في أرضهم أثناء ترحالهم في البرية ليصلوا إلى أرض كنعان كطريق مُختصر.

الأعداد من ٢٧ – ٣٤ نري فيها الفرق بي الغلامين، فعيسو لم يكن له إيمان بينما كان ليعقوب إيمان.

القلب البشري بحسب الطبيعة لا يعرف لأمور اللَّه قيمة ولامعني فهو لا يعتبر إلا العيان الذي يلمسه و يراه، فالحاضر في نظره كل شيء والمستقبل يعتبره وهمًا وخيالاً وهذا كان شأن عيسو الذي احتقر البكورية «ها أنا ماض إلى الموت فلماذا لي البكورية» (٣٢) هكذا استهان عيسو بأمور اللَّه وأعطي لأكلة عدس قيمة أفضل وهكذا بادله بها يعقوب وأخذ منه البكورية. أما يعقوب فيصفه الروح القدس بأنه كان إنسانًا هادئًا مستقيمًا يسكن الخيام. كان وارثًا الموعد نفسه مع إسحق وإبراهيم. صحيح أن مسلكه كان أضعف بالقياس إلى إبراهيم غير أنه قبل ارتحاله استطاع أن يقول أن اللَّه رعاه كل حياته وخلصه من الشر فبرغم أخطائه وتعثراته فقد تمتع بعناية اللَّه الساهرة المُشفقة.

تك ٢٦

يفاتحنا الأصحاح بتجربة لامتحان الإيمان كما كان وجود الكنعانيين امتحانًا آخر. حينما حدث الجوع مكتوب «فذهب إسحق إلى

أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار» (١) ويبدو أن إسحق كان ينوي النزول إلى مصر ولكن الرب سارع بإدراكه وظهر له وقال «لا تنزل إلى مصر. اسكن الأرض التي أقول لك. تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك» (٢ ، ٣) الرب يوصيه أن يتغرب حيث يقيم، وطاعة إسحق انطوت علي بعض الصعاب التي لا يمكن للنعمة أن تعفيه منها وطوبي للرجل الذي يتحمل التجربة. فبقي إسحق في جرار التي ذهب إليها إبراهيم قبلاً وهكذا سقط إسحق نفس سقطة إبراهيم حينما قال عن رفقة هي أختي ، حيث يبدو أن تأثير ذلك المكان لم يكن صالحًا فقد أدي اكتشاف أبيمالك (أن رفقة هي امرأة إسحق وليست أخته) لانتِهار إسحق من قِبَل ملك وثني إزاء كذبته التي أساء فيها ليس إلى أمة الفلسطينيين فقط بل إنه عرَّضَ امرأته لخطورة أن يضطجع معها أحد من أهل جرار. المؤمن عمومًا لا يتعلم الدرس من أول مرة «لكن اللَّه يتكلم مرة وباثنتين لا يلاحظ الإنسان» (أي ٣٣: ١٤).

حَسَد الفلسطينيون إسحق لما رأوا أن اللَّه معه «وزرع إسحق في تلك الأرض وأصاب في تلك السنة مئة ضعف وباركه الرب. فتعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظم حتي صار عظيمًا جدًا فكان له مواش من الغنم ومواش من البقر وعبيد كثيرون» (١٢ – ١٤) ليس غريبًا أن الرب يظهر أمانته في مقابل طاعة إسحق الذي تغرب في جرار حسب طلب الرب رغم الجوع الذي كان في الأرض كما أنه عوضه بالخير الجزيل. بعدما حَسَدَ الفلسطينيون إسحق بدأوا يشعرون بأن تعاظُم

إسحق فيه تهديد لهم «وقال أبيمالك لإسحق اذهب من عندنا لأنك صرت أقوي منا جدًا فمضي إسحق ن هناك ونزل في وادي جرار وأقام هناك» (١٦، ١٧) وبروح السلام أخذ إسحق الأمر بهدوء وانفصل عنهم «علي قدر طاقتكم سالموا جميع الناس» هذه من مبادئ المؤمن. بعد أن تركهم إسحق فلابد أنهم شعروا أن شيئًا ينقصهم الذي كان شهادة إسحق وسطهم فرجعوا إليه معترفين بأنه يستحق الإكرام «أنت الآن مبارك الرب» (٢٩)، «ونحن رأينا أن الرب كان معك» (٢٨) ثم عاهدوه أن يحلف لهم بألا يصنع بهم شرًا لأنهم خافوا، فَحَلَف لهم.

النزاع علي آبار المياه هو أساسي لإسحق ورجاله لأهميتها القصوى للحياة لهم ولمواشيهم الكثيرة ولكن دلالتها الروحية لنا تعد أكثر أهمية. آبار المياه تتكلم عن كلمة اللَّه كمصدر الارتواء الجوهري للمؤمن بالروح القدس، هي مادة الإنعاش التي يستخدمها الروح القدس لري المؤمن في البرية «..لكن الذي يشرب هذا الماء الذي أعطيه أنا لن يعطش إلى الأبد بل تجري من بطنه أنهار ماء حية» (يو ٤: ١٤) وعلينا إفساح المجال للروح القدس لينعش قلوبنا بالكلمة أثناء سفرنا في هذا العالم، وعدم استفادتنا من الكلمة يدل علي وجود أشياء تعيق جريان آبار الكلمة في قلوبنا الأمر الذي تقصده العبارة «طمَّها الفلسطينيون وملأوها ترابًا» (١٥). «فعاد إسحق ونبش آبار المياه التي حفروها في أيام إبراهيم أبيه وطمَّها الفلسطينيون بعد موت أبيه ودعاها بأسماء كالأسماء التي دعاها بها أبوه» (١٨) نبش الآبار القديمة يتكلم عن العودة إلى السبل

القديمة في الحق، فالحق هو الحق حتي لو تم ردمه وطمَّه فترة من الزمن كما نري في حق اللَّه الخاص بالتبرير بالإيمان حيث طمَّه الشيطان قرونًا عديدة حتي أعطي اللَّه لعبده مارتن لوثر نعمة نبش هذا البئر من جديد وتلميع حق اللَّه الخاص بالبر الإلهي الذي يستند علي الإيمان القلبي فقط وليس أي شيء آخر «أما الآن فقد ظهر بر اللَّه بدون الناموس...بر اللَّه بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلي كل الذين يؤمنون متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه اللَّه كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من اجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال اللَّه» (رو ٣: ٢١ – ٢٥). كما أعطي اللَّه لآخرين نعمة الكشف عن حق الكهنوت لكل المؤمنين سواسية وليس لفئة دون أخري ينتج عنها أنها تتسلط في النهاية «مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفك ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا للَّه... وجعلتنا ملوكًا وكهنة» (رو ٥: ١٠) هكذا حق كل مؤمن أن يقدم للَّه السجود والذبائح و ليس لفئة سلطت نفسها علي شعب اللَّه.

جميع المؤمنين الحقيقيين مسؤولون عن نبش الآبار القديمة أي اكتشاف الحق الذي تم نسيانه أو التغاضي عنه من وسط حقوق اللَّه المتعددة ثم القيام بتلميعه من جديد و نشره للجميع حتي تزداد الكنيسة يقينًا وتمسكًا بكل الحق «قفوا علي الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة» «ودعاها بأسماء كالأسماء التي دعاها بها أبوه»

(١٨) أي العودة إلى الأصل وإعادة تثبيت أركان الحق لإدراك و العودة إلى المحبة الأولي.

تك ٢٧

يذكر هذا الأصحاح تفاصيل دقيقة عن أمور حدثت في أحد أربعة بيوت يتحدث عنها الكتاب اعتبارًا من أصحاح ١٢ وحتي الأصحاح الخمسين وهي بيوت إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف، ومن هذه التفاصيل يمكننا أن نميز سلوك حياة كل بيت منها في شخص رأسها. حياة إبراهيم بدأت حسنًا وانتهت حسنًا وإن شابها بعض السقطات لكنها ليست ذات أهمية كبيرة. حياة يوسف بدأت وانتهت حسنًا فلسنا نقرأ عنه شيئًا واحدًا سلبيًا. أما بالنسبة لإسحق ويعقوب فإننا نري في حياتهما مسارين متعاكسين، فإسحق بدأ حياته حسنًا لكنه لم ينهيها كذلك، أما يعقوب فبدأ بداية غير حسنة بل متعثرة واستمر هكذا لكنه أنهاها حسنًا بعدما تقابل الرب معه وصارعه حتي مطلع الفجر وكسر له حق فخذه الأمر الذي دفعه للخضوع والاتضاع أمام اللَّه فسجد في نهاية حياتي علي رأس عصاه دليلاً على تسليمه التام للخضوع والاتضاع أمام اللَّه.

بيت إسحق ورفقة يذكر الكتاب وجود ضعفات عديدة به رغم أن بهذا البيت ثلاثة مؤمنين هم إسحق ورفقة ويعقوب. نري تمييز محبة إسحق لابنه عيسو بسبب كونه صيادًا ماهرًا يصطاد الغزال الذي كان إسحق يحب أكله فكان ضعف إسحق متمثلاً في شهوته

للأكل «كان في فمه صيد» أيضًا نري تمييز محبة رفقة ليعقوب هكذا نري جذور الانحدار في هذا البيت. أيضًا نري اتخاذ عيسو لنفسه في سن الأربعين زوجتين من بنات حِثَّ خارجًا في ذلك عن ترتيب جده الذي حذر عبده من أن يأخذ لابنه زوجة من بنات الشعب الذي كان ساكنًا بينهم كما خالف ترتيب اللَّه في أن يكون لكل رجل زوجة وهذا أمر كان مُسببًا مرارة لكل من إسحق ورفقة. أيضًا نري التصرف الجسدي البغيض الذي اشترك فيه كل من رفقة ويعقوب وتصرفا معًا بروح الخديعة والمكر مع إسحق مستغلين ضعف النظر عنده ليسلبا منه البركة ليعقوب علي حساب عيسو وفي غيابه. أيضًا رفقة كانت مسترقة السمع إلى حديث إسحق مع ابنه عيسو وأسرعت مع يعقوب لعمل تمثيلية علي إسحق وكأن يعقوب هو عيسو الذي جاء لأبيه بالصيد الذي طلبه حتي يباركه كما وعد عيسو، وللإمعان في خداع الرجل ألبست رفقة يعقوب ملابس عيسو وكستها عند اليدين والعنق بجلود جدي المعزي حتي إذا جسه إسحق يجده مشعرًا كما كان عيسو فيطمئن قلبه. تصرفت رفقة بدوافع جسدية لكي تتمم بنفسها مشيئة اللَّه التي سبق وأعلنها لها حينما تزاحم في بطنها الولدان «وكبير يستعبد لصغير» وكأن اللَّه غافل عن تحقيق مقاصده في أوانه. كان يعقوب التي استخدم فيها سبع أكاذيب: (١) «أنا عيسو بكرك»، كذبة (٢) «فعلت كما كلمتني»، كذبة (٣) «كُلْ من صيدي» (٤) «الرب إلهك قد يَسَّرَ لي» (٥) «أنا عيسو بكرك» ارتعد

إسحق ارتعادًا عظيمًا حينما أدرك أنه أخطا وأن يعقوب خدعه بمكر ولكنه حين تدارك الأمر لم يتراجع عنه بل أكده تأكيدًا فحسبه له الرب لما صرخ صرخة إيمان «نعم ويكون مباركًا» (٢٢) لأنه من دون أن يدري كان يتمم المشيئة الإلهية فاللَّه سهران علي مقاصده ليجريها.

الحواس الخمسة هي: النظر واللمس والشم والتذوق والسمع. أخفق إسحق في الأربعة الأولي لكنه أصاب في الأخيرة لما سمع صوت اللَّه داخله الذي بَيَّنَ له به أن الخطأ الذي وقع فيه إنما يخدم مشيئة اللَّه فأكد عليه و أصَرَّ.

الرجل الأشعر يشير إلى الإنسان الجسدي وهكذا كان عيسو كالشعر العزير يشير إلى كل ما ينتجه الجسد من أمور غير مُستحبَة فقد استهان بالأمور الروحية في مقابل أمور زمنية تافهة (أكلة عدس مقابل البكورية) فمكتوب عنه «لئلا يكون أحد مستبيحًا كعيسو الذي لأجل واحدة باع بكوريته. فأنكم تعلمون أنه أيضًا بعد ذلك لما أراد أن يرث البركة رُفِض إذ لم يجد للتوبة مكانًا مع إنه طلبها بدموع» (عب ١٢: ١٧) فهو لم يندم ولم يسعَ لأن يتوب ورغم من هذا كان يبكي علي البركة التي كان يطلبها.

تك ٢٨

رأينا في الأصحاح السابق مدي الارتباك الحادث في بيت إسحق حيث أخطأ كل من فيه ولم يتصرف حسنًا، لكن هذا الأصحاح نري فيه تبدل حالة إسحق تمامًا إلى الأفضل روحيًا فها هو يوصي ابنه

يعقوب «لا تأخذ زوجة من بنات كنعان» (١) وهي نفس الوصية التي أوصاها أبوه إبراهيم لعبده أليعازر الدمشقي «لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم» (تك ٢٤: ٣) فقد خَشِي إسحق أنَّ يكرر فِعلة عيسو حينما تزوج من بنات حث اللتين «كانتا مرارة نفس لإسحق ورفقة» (تك ٢٦: ٣٥) علي أن عيسو زاد علي فعلته هذه أنه أخذ ابنة إسماعيل عمه زوجة أيضًا علي نسائه لما استشعر أن إسحق أرسل أخاه وأوصاه بالابتعاد عن بنات الكنعانيين وكأنه قصد هذه الفعلة نكاية في أبويه غيظًا علي فقدانه البكورية.

يعقوب هو صاحب السيرة الأطول في بيوت البطاركة الأربعة التي يتناول الوحي تفاصيلها، فسلوكه هو الأقرب لحالتنا ونحن نسلك هذه البرية لذا لنا فيها تعاليم وفوائد روحية عظيمة إن نحن اتعظنا بها، فمن خلال أصحاحنا وحتي الأصحاح الخمسين نري أربعة مراحل في حياة يعقوب كما نري أربعة أحجار تميزه عن باقي الآباء البطاركة وأربعة أعمدة كما نري سبعة ظهورات إلهية. المرحلة الأولي: حياته مع أبيه في أرض كنعان – الثانية: حياته في بيت لابان خاله في فدان أرام – الثالثة: عودته من فدان أرام إلى بيت كنعان – الرابعة: ذهابه إلى مصر بيت إيل (بيت اللَّه) مكان مهم في حياة يعقوب كما نري أول ظهورات الرب له في هذا الأصحاح.

«فصرف إسحق يعقوب.. إلى لابان... أخي رفقة أم يعقوب وعيسو» (٥) نلاحظ أولوية ذكر يعقوب قبل عيسو رغم أنه الأصغر وذلك لأن

القصد هو أن يعقوب هو ابن البركة، فإن خط البركة يسري بحكمة اللَّه وإلا لكان إسحق بارك عيسو الأمر الذي لم يحدث. ها هو يعقوب يبدأ رحلة حصاد ما زرعه بمكيدة المكر حتي وإن كانت له البركة علي أن الرب لا ينزع عنه الرحمة والرأفة فقد بدأ رحلة في الصحراء المستوحشة ليذهب إلى لابان خاله، وإذ غابت الشمس ولم يكن معه أي عتاد أو مئونة، فأخذ حجرًا تحت رأسه والتحف السماء واضطجع «ورأي حلمًا وإذ سلم منصوبة علي الأرض رأسها يمس السماء وهوذا ملائكة اللَّه صاعدة ونازلة عليها وهوذا الرب واقف عليها» (١٢) إن الرب بنفسه واقف يباشر رعاية عبده وأرسل ملائكته صاعدة أولاً آخذه طِلبات المؤمن إلى فوق ونازلة إليه بالاستجابة «فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق». الأرض التي... وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك...لأني لا أتركك حتي أفعل ما كلمتك به» (١٣ – ١٥) رسالة طمأنة ما أعظمها من إله كل نعمة لعبده الذي من شده خوفه وعدم ثقته في نفسه لم يثق فيما قدمه الرب له يقايض مع الرب ويقول غير مصدق «ونذر يعقوب نذرًا قائلاً إن كان اللَّه معي وحفظني... وأعطاني... ورجعت.... يكون الرب لي إلهًا» (٢٠، ٢١) هكذا هو تصرف الإنسان عمومًا ويعقوب هو مثل لنا في كل ما هو من الجسد.

تعبير "تراب الأرض" يخص الشعب القديم الذي يمثله يعقوب نبويًا. "رمل شاطئ البحر" يخص الأمم التي ستؤمن مُستقبلاً

بواسطة البقية. "نجوم السماء" هم المؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد.

من خلال حلم يعقوب نري سبعة أمور مرتبطة بالشعب الأرضي: ١- الحلم ٢- الملائكة ٣- البركات الأرضية ٤- روح الخوف (ما أرهب هذا المكان) ٥- المكان (بيت إيل) ٦، ٧ – النذور والعشور.

كما نري سبعة أمور مُرَّة ليعقوب : ١- مطارد من عيسو ٢- كان في البرية (هرب إلى صحراء هو ١٢: ١٢) ٣- كان تائهًا تث ٢٦. ٤- كان وحيدًا ليس معه رفيق ٥- لم يكن معه لا خيمة ولا مؤنة ٦- ليس من عادته قلة الراحة ٧- غابت الشمس وأظلمت السماء وجاء الليل.

رغم هذا البؤس تمتع يعقوب بسبع بركات : ١- رأي سلمًا من الأرض إلى السماء ٢- ملائكة اللَّه صاعدة ونازلة عليها ٣- صاعدة أولاً بطلبات المؤمن لتحضر الاستجابة نازلة بها ٤- الرب بنفسه يظهر له ٥- الرب واقف يشرف علي حراسة ورعاية المؤمن ٦- الرب لم يذكر أي من سلبيات يعقوب لكن يعلن له نفسه ٧- أعطي الرب سبعة مواعيد ببركات ليعقوب.

تك ٢٩

«ثم دفع يعقوب رجليه وذهب إلى أرض بني المشرق» (١) وَسَّعَ يعقوب خطواته أي أسرع في المسير إلى أن صادف بئرًا ترقد عندها قطعان غنم ولكن حجرًا كبيرًا كان موضوعًا عند فم البئر. لما استعلم من الرعاة الموجودين علم أنه وصل إلى حاران وأن خاله لابان بسلامة، وها هي راحيل ابنته آتيه مع الغنم لأنها كانت ترعي غنم أبيها، وعَلِمَ أيضًا أنه جرت العادة أن يجتمع جميع القطعان أولاً حتي يتحدوا في رفع الحجر عن فم البئر فيقدرون حينئذ أن يسقوا أغنامهم معًا ثم يعيدون الحجر مرة أخري قبل رحيلهم.

لما أبصر يعقوب راحيل أحبها فتحركت فيه أعمال الجسد وذهب منفردًا ورفع الحجر عن فم البئر مستعرضًا أمامها إمكانياته ليؤثر عليها فيجتذب قلبها. حينئذ كاشف راحيل بأنه من عائلة أبيها لابان ولما علمت أخذته إلى البيت ففرح به لابان قائلاً «إنما أنت عظمي ولحمي» (١٤) مكث يعقوب شهرًا في ضيافته وهي أقصي مدة لإضافة الغريب «ثم قال لابان ليعقوب ألأنك أخي تخدمني مجانًا. أخبرني ما أجرتك» (١٥). هنا تبدأ بوادر علاقة المصالح بين لابان بعقلية التاجر وبين يعقوب الذي يستعمل الدهاء ويستند علي اتكاله علي ذاته في التصرف دون الاتكال علي اللّه. لقد صار علي مشارف جولة عظيمة في حياته سيعاني فيها من حصاد مرير لما سبق و زرعه من خداع لأبيه لما

سرق بركة أخيه عيسو. «فقال أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى» (١٨) فكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها (٢٠).

مرت الأيام وكملت وصار ليعقوب أن يحصل علي راحيل ليتزوجها فإذا به يصطدم بأولي فخاخ خاله في خديعته إذ أعطاه ابنته الكبرى ليئة بدلاً من راحيل وهو لم يعلم إلا في الصباح. عاتب يعقوب لابان فأجابه «لا يفعل هذا في مكاننا أن تعطي الصغرى قبل البكر» (٢٦)، «أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضًا بالخدمة التي تخدمني بها سبع سنين أخر» (٢٧) وهذا كان فخًا مزدوجًا ولكن رضخ يعقوب «لأنه أحب أيضًا راحيل أكثر من ليئة» (٣٠)

الرب حنان ورحيم، نظر إلى الحال الذي صارت عليه ليئة و صَغُرت نفسها في عينيها إذ شعرت أنها دون أختها التي أحبها زوجها أكثر منها فنقرأ عن تعويض الرب لها «ورأي الرب أن ليئة مكروهة ففتح رحمها وأما راحيل فكانت عاقرًا» (٣١) وها هي تنجب أربعة أبناء ليعقوب وفي كل مرة تحدث نفسها بعبارة تعبر عن مشاعرها المطعونة بسبب ابتعاد رجلها عنها عاطفيًا علي أن المرة الأخيرة نَحَّتْ الإنسان جانبًا ورفعت عينيها نحو اللَّه الذي عوضها بالنسل الذي منه يأتي المسيح حسب الجسد وهو سبط يهوذا.

اسم المولود	معني الاسم	قول ليئة حين ولادته
رأوبين	رأي مذلتي. رأوا	الرب نظر إلى مذلتي. إنه الآن

شمعون	ابنًا	يحبني رجلي
لاوي	سمعًا. مستمعًا	الرب قد سمع أني مكروهة فأعطاني هذا أيضًا
يهوذا	اقترن. التصق. تعلق	هذه المرة يقترن بي رجلي لأني ولدت له ثلاثة بنين
	يحمد. يشكر. يمجد	هذه المرة أحمد الرب

تك ٣٠

هذا الأصحاح يغطي فترة من حياة يعقوب تقارب الثلاثين عامًا لا نقرأ انه بني أي مذبح خلالها، فيعقوب مؤمن بلا شركة ولا مذبح ولا يعطي للّه حقوقه. أهم مخاطر عدم الوجود في شركة مع الرب هي أن التصرفات تسيطر عليها أمور الجسد ورغباته و الإرادة الذاتية. نحن نري يعقوب لم يعتنِ أن يكون له دورًا في بيته ولم يكن بحسب ما ينبغي للرجل أن يكونه كرأس المرأة ورأس البيت فتلاعبت به زوجتاه كما لا نرى له أي دور مع الأبناء. إننا لا نراه يحسم أمرًا بين زوجاته إلى الحد الذي كانتا تتخاطفانه بينهما باستئجار إياه باللفاح الذي أتي به

رأوبين من الحقل. تفشت الغيرة بين الأختين والأمر ليس بغريب علي الطبيعة الجسدية فقد كان يعقوب وعيسو يتزاحمان وهما مازالا في البطن «فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا اللَّه» (رو ٨: ٨) فكان سهلاً علي يعقوب قبول الأسلوب الجسدي الذي عرضت به راحيل علي يعقوب جاريتها ليدخل عليها حتي تأتي منها ببنين، فولدت بلهة ليعقوب «دان ونفتالى» ومعناهما لا يتكلم عن النعمة ولكن عن انتصارات راحيل في معركة الغيرة والحسد مع أختها ليئة. واضح أن هذا الأمر لا يوافق مشيئة اللَّه فقد سبق ونتجت عنه كارثة حينما أقدم إبراهيم علي نفس الخطوة حينما قَبِلَ أن يدخل علي هاجر المصرية جارية ساراي وكانت النتيجة هي ولادة إنسان وحشي وهو إسماعيل. ليئة أيضًا وقعت في نفس فخ أختها لما حجب الرب عنها الإنجاب إلى حين فتسرعت هي الأخرى لإشباع غيرتها من أختها التي قدمت هي الأخرى جاريتها زلفة ليعقوب زوجة فأنجبت له أيضًا ولدين حيث لا نري في معني اسمي «جاد و أشير» روح نزاع مثلما كان لراحيل ولكنها في ذات الوقت لم تصل لمستوي الإيمان الذي أظهرته عند تسمية ولدي بطنها.

أشفق الرب أخيرًا علي راحيل بعدما أدخلها في مرحلة شاقة من الإذلال وأعطاها الابن الذي كانت تترجاه فقالت حينئذ «قد نزع اللَّه عاري». «ودعت اسمه، يوسف، قائلة يزيدني الرب ابنًا آخر» (٢٣، ٢٤) فقد تكلمت هذه المرة بما يظهر معرفتها باللَّه كإلوهيم الذي

يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة وصار عندها رجاء في استجابة الرب لها في ابن آخر، الأمر الذي حققه الرب لها في ولادة بنيامين فإن معني يوسف «هو يزيد» وقد أوفي الرب المعني في بنيامين الذي معناه «ابن اليد اليمين».

بدأ يعقوب يفكر في الاستقلال والانفصال عن لابان بعدما تعظم ما له وصارت له عائلة كبيرة فكيف كان للابان المُستفيد من وجود يعقوب عنده أن يفرط فيه كما كان الأخير مبيتًا نيته في تكتم كيف يسلب خاله خيار وسمان غنمه، إذ اتفق معه أن يرعاها له مدة أخري بلا مقابل «فقال يعقوب لا تعطني شيئًا إن صنعت لي هذا الأمر أعود أرعي غنمك وأحفظها... فيكون مثل ذلك أجرتي» (٣١، ٣٢). كانت هذه قمة المراوغة والخداع من يعقوب كما نري أن لابان ارتضي هذا الاتفاق علي اعتبار أنه لن يتكلف شيئًا وستكون هذه الخدمة مجانية ويشرح لنا نهاية الأصحاح كيفية تنفيذ يعقوب لأفكاره وتدبيرات الجسد ولم يضع اللَّه قط في حساباته الذي سبق وأعطاه مواعيد ثمينة لم يُقِم لها وزنًا «وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك.... لأني لا أتركك حتي أفعل ما كلمتك به» (٢٨: ١٥) ولكن لأن الرب أمين نقرأ «فاتسع الرجل كثيرًا جدًا وكان له غنم وجوار وعبيد و جمال وحمير» (٤٣) فرغم تصرفات الجسد التي تحكم أعمال يعقوب إلا أن الرب رأي ما تعرض له من ظلم خاله لابان فعوضه عما لم يوف به.

تك ٣١

سمع يعقوب بني لابان وهم يتلاسنون عليه ويعيرونه بأن أخذ ما كان لأبيهم وصنع منه لنفسه مجدًا عظيمًا، كما لاحظ أيضًا تغير وجه لابان من نحوه فلم يراه كما كان في المعتاد. قرر يعقوب أن يأخذ كل ما له ويرحل منتهزًا فرصة غياب لابان الذي كان مشغولاً في جز غنمه وذلك بعد أن صارح زوجتيه فيما ينتوي، اللتين وافقتاه لشعورهما بأن أباهم ظلمهما ولم ينصفهما قائلتين «ألم نُحسب منه أجنبيتين لأنه باعنا وقد أكل أيضًا ثمننا... فالآن كل ما قال اللَّه افعل» (١٦) فإن اللَّه كان قد قال ليعقوب «ارجع إلى أرض آبائك وإلى عشيرتك فأكون معك» (٣) وذكره الرب بتلك الليلة التي رأي فيها حلم السلم والملائكة الصاعدة والرب واقفًا أعلى السلم حيث استيقظ من نومه وقال إن هذا هو بيت اللَّه (بيت إيل) وسمي المكان بهذا الاسم وبني عمودًا ومسحه ونذر للَّه نذرًا. اللَّه لم يشأ أن يكون مع يعقوب وسط جو المخادعات الملتوية بينه وبين خاله والعكس، لكن الحقيقة أنه كان واقفًا بجانبه بصورة محجوبة حينما أظهر له في حلم مُبينًا أن الغنم التي وُلدت رقطاء ومخططة لم تكن نتاج حيلته وتدبيرات أفكار ذكائه كما كان يعتقد في استخدام أسلوب الوحم في الحَمْلْ لدي الغنم، ولكنها كانت بعمل اللَّه نفسه الذي تدخل وأراه في الحلم أن الفحول التي صعدت علي الغنم كانت منمرة ورقطاء ومخططة «ارفع عينيك وانظر جميع الفحول...

لأني قد رأيت كل ما يصنع بك لابان. أنا إله بيت إيل حيث مسحت عمودًا حيث نذرت لي نذرًا» (١٣)

هذه أول مرة نجد يعقوب يذكر فيها الر ب ويقول «لكن إله أبي كان معي ولم يسمح له أن يصنع بي شرًا» (٥، ٧) فاعترف بفضل الرب عليه وتشجع وبدأ رحلة العودة إلا أن حادثًا شوه جمال الصورة لأن راحيل سرقت أصنام أبيها ليس عن عدم إيمان باللَّه ولكن علي سبيل اقتناء ما هو غالٍ. ذِكر هذه الحادثة يلقي لنا ضوءًا علي الجانب السري من حياة لابان وهو أنه كان عابدًا للوثن فلم يكن اللَّه في حسبانه وهذا الأمر ظاهر في كلامه إلى يعقوب لما اعترف له أن اللَّه ظهر له في حلم الليل قبيل إدراكه إياه في جبل جلعاد «لكن إله أبيكم كلمني البارحة قائلاً احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر» (٢٩) ففي نظر لابان اللَّه كان إله يعقوب. اللَّه كان مع يعقوب كما كلمه «فأكون معك» ليعوضه عن احتيال لابان عليه وتغييره أجرته عشر مرات كما أفسد خطط لابان الطامع.

تك ٣٢

«أما يعقوب فمضي في طريقه» (١) طريق الخوف والرب يقوم بطمأنته «...ولاقاه ملائكة اللَّه» (١) فبدأ رحلة العودة ومشاعر الخوف متملكة منه وكان إحداها بسبب لابان الذي بالفعل أدركه في الطريق، ولكن الرب يحل له هذه المشكلة و يزيحها من أمامه بعودة لابان إلى

مكانه، ويدعو يعقوب إلى الاطمئنان بإرسال الملائكة إليه حتي يتذكر ذلك الحلم في بيت إيل حيث كانت الملائكة صاعدة ونازلة علي سلم اللَّه الذي كان واقفًا في أعلاه. قلب يعقوب كان خائفًا من أخيه عيسو لأنه لم يصدق أن يعفو عيسو عنه أو ينسي ما اقترفه في حقه ونسي ثلاثة وعود من اللَّه له: (١) «... وأدرك إلى هذه الأرض» – (٢) «...أرجع فأكون معك» – (٣) «أنا إله بيت إيل حيث مسحت عمودًا ونذرت لي نذرًا، الآن قم أخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك».

تغلَّبت مخاوف يعقوب علي وعود اللَّه له فأرسل له الملائكة لتشديده قبل ملاقاة أخيه عيسو و لتهدئة نفسه وهكذا صرح «هذا جيش اللَّه» (٢) فيعقوب هو الوحيد من البطاركة الأربعة الأولين الذي رأي الملائكة فقد كان الأكثر احتياجًا للتشديد القوي، ونحن لا نختلف عن يعقوب في شيء ونحتاج دوامًا النظر إلى الرب يسوع نفسه لنتشدد في طريق البرية.

«سيدي عيسو» عبارة فيها مذلة لشخص يعاين رفقة اللَّه له و وقوفه بجانبه ، فما كان ليعقوب أن ينطق بها لو تذكر قول الرب لأمه رفقة «وكبير يستعبد لصغير»، لكنه في شعوره بصغر النفس نراه يعطي أكثر من نصف ما يملك هدية إلى أخيه ليس لسبب غير خوفه منه ومحاولة لاستعطافه واسترضائه حتي يرفع وجهه.

يعقوب يعود لطريقته في تدبير أموره بالجسد رغم رؤيته لملائكة التي هي تشجيع اللَّه له «فقسم القوم الذين معه والغنم... إلى جيشين بينهما فسَحَة وقال إن جاء عيسو إلى الجيش الواحد وضربه يكون الجيش الباقي ناجيًا» (٨). وفي خوفه من عيسو صلي و ذَكَرَ اللَّه و ذكَّرَه بوعوده له. «ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك. صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنفتها مع عبدك... نجَني من يد أخي من يد عيسو» (٩ – ١١).

كانت كل مخاوف يعقوب عبارة عن هواجس في قلبه في حين أن ما حدث فعلاً لم يكن فيه أي شيء من هذه المخاوف بل «أن عيسو ركض للقائه وعانقه ووقع علي عنقه و قبله و بكيا» (٣٣: ٤) فقد كانت مخاوفه كلها في غير محلها لأنه تناسي أن يذكر أمانة اللَّه.

رتب اللَّه أن ينفرد بعبده في ليلة كانت تحولاً جذريًا في حياة يعقوب فبعدما صرف كل من له عند مخاضة يبوق «بقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتي طلوع الفجر» (٢٤). فالرب كان يريد أن يبارك يعقوب لذلك اضطر الرب أن يخلع من يعقوب وسيلة اتكاله علي ذاته فلما ضرب حق فخذه لم يعد يقدر أن يسير باستقامة لكنه كان يخمع وعند هذه النقطة فقط طلب يعقوب من الرب أن يباركه إذ سلم بعدم القدرة «لا أطلقك أن لم تباركني» (٢٦). فقد باركه الرب بعد أن غير اسمه من يعقوب (المتعقب من البطن) إلى إسرائيل (أمير يتأمر بأوامر

اللَّه) فصار إنسانًا جديدًا «وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع علي فخذه» (٣١).

تمتع يعقوب بعد هذه الحادثة بسبعة أمور: (١) اسم جديد «إسرائيل» – (٢) سلوك جديد – (٣) بركة جديدة «وباركه هناك» وهي مرتبطة بالمكان – (٤) اسم مكان جديد «فنوئيل» بعد «مخاضة يبوق» – (٥) رأي وجهًا جديدًا وجه اللَّه بعد وجه لابان – (٦) إيمان جديد «بُخِّيَتْ نفسي» – (٧) أشرقت له الشمس بعدما غابت في صـ٢٨.

يمكننا من هذا الأصحاح استخلاص سبع صفات رديئة للجسد: -

١- الجسد منافق: ثماني مرات يقول يعقوب عن عيسو «سيدي» وعن نفسه خمس مرات يقول «عبدك».

٢- الجسد مفتخر: يقول يعقوب مفتخرًا «صار لي بقر وحمير وإماء...» (٥).

٣- الجسد يحب تقليد أمور اللَّه: جيشين من الملائكة رآهم فعمل مثلهما من كل ماله.

٤- الجسد متسرع: لا يقدر علي الانتظار فبعدما صلي خوفًا واتكالاً أسرع إلى عادته بتدبير أموره كعادته بنفسه فلم ينتظر نتيجة لصلاته.

٥- الجسد فاسد في ترتيبه وفوضويته: ٥٥٠ رأس غنم و مع هذا لم يعشر شيئًا للرب كما وعد في بيت إيل، لكن قسمهم إلى جيشين حتي يقلل الخسائر.

٦- الجسد لا يفيد شيئًا: فبعدما رتب ما رتبه يعود فيقول «عسي أن يرفع وجهي».

٧- الجسد معاند: لا يعرف أن يستسلم فحين صارعه اللَّه لم يرد أن يستسلم إلا بعدما اضطر اللَّه أن يخلع حق فخذه حتي يعي حقيقة ضعفه حينما سلب اللَّه منه القوة التي يرتكن عليها.

تك ٣٣

المصارعة التي حدثت بدأها الرب لا يعقوب. لماذا المصارعة ؟ - لأن الرب أراد أن يبارك يعقوب، فرغم أن إسحق قال له «وتكون مباركًا» إلا أنه لم يتمتع بها طوال عشرين سنة لأن هناك شروطًا لنوال البركة: (١) «بقي يعقوب وحده» فبعدما صرف كل من له تهيأت الفرصة ليختلي بنفسه في محضر الرب لمراجعتها وهذه أولي الخطوات نحو البركة «فصارعه إنسان حتي طلوع الفجر». (٢) «فصارعه» هذه هي إحدى ظهورات الرب في شكل إنسان فصارع يعقوب كإنسان ولم يقدر عليه فاستخدام أخيرًا قوته الإلهية ولمس حق فخذه ليكسر إرادة الجسد فيه، أدرك يعقوب أنه أمام اللَّه الظاهر في الجسد – (٣) «... لا أطلقك إن لم تباركني» لم يفوت يعقوب الفرصة أنه أمام اللَّه أن يطلب البركة بإصرار «فباركه هناك» بعد أن غير اسمه من يعقوب لإسرائيل، ولم يعلن اللَّه اسمه ليعقوب بعدما سأله عن اسمه إلا في أصحاح ٣٥: ١١ معلنًا له «أنا اللَّه القدير».

تقسيم يعقوب لكل ماله ومن له بترتيب أهميتهم له تحسبًا لبطش أخيه به يُظهر ما به في الجسد من حساب لكل شيء وترتيب الأمور بحسب نظرته لها وذلك نتيجة خوفه من أخيه وتقابل أخيرًا يعقوب مع عيسو وحدث ما لم يكن في حسبانه «ركض عيسو للقائه وعانقه ووقع علي عنقه وقبله وبكيا» (٤). إن محبة يعقوب الأخوية كانت كافية عنده غير أن خوفه الشديد من عيسو طمس هذه المشاعر فتبين له أن كل ما حسبه من حسابات لم يكن سببه إلا الخوف

يبدو أن الخوف من عيسو استنفد كل مجهود يعقوب إلى الدرجة التي شعر فيها أنه محتاج للراحة «...فارتحل إلى سكوت وبني لنفسه بيتًا وصنع لمواشيه مظلات» (١٧). هذه لم تكن من ضمن مخطط اللَّه له حيث فيه يكفل اللَّه لعبده الراحة الحقيقية، لذلك لم تدم هذه الحالة كثيرًا فقد أفاقه الرب في حادثة صادمة في أصحاح ٣٤ بينت له أنه كان في المكان الخطأ عن خطة اللَّه له وهو في سكوت فاللَّه يريده في بيت إيل حتي لو أقام مذبحًا ودعاه إيل إله إسرائيل في المكان المخالف لمشيئة اللَّه.

تك ٣٤

شراء يعقوب لأرض الحِوِّيْ ورغبته في الراحة والاستقرار هناك أدي إلى حدوث فضيحة وكارثة في عائلة الإيمان وهزيمة في نفس يعقوب. «وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض...» (١) رغبة حب الاستطلاع عرضت دينة لمواجهة مع ابن رئيس الأرض

فوقعت هناك الواقعة التي تحكيها الأعداد حتي ٢٤، فمهما حاول حمور تخفيف الصدمة بعرض الزواج فلم يكن ذلك ليزيل الوصمة من جبين الأسرة مما دعا بني يعقوب بمكر أن يقدموا مشروعهم لختان كل ذكر من أهل مدينة شكيم كشرط لقبول عرض الزواج حيث أنهم كانوا غلفاء. غدر انتهي بمجزرة مخيفة لم يعلم بها يعقوب إلا بعد حدوثها وهي محاولة من شمعون و لاوي بدافع قوتهما الذاتية وحماسهما الطبيعة فأضافا حزنًا علي حزن يعقوب. لم تبرح هذه الحادثة من ذاكرة يعقوب سنين عديدة حتي عَبَّرَ عنها في نبوته عما يصيب أبناءه في آخر الأيام «شمعون ولاوي أخوان. آلات ظلم سيوفهما. في مجلسهما لا تدخل نفسي. بمجمعهما لا تتحد كرامتي. لأنهما في غضبهما قتلا إنسانًا وفي رضاهما عرقبا ثورا. ملعون غضبهما فإنه شديد. وسخطهما فإنه قاسٍ. أقسمهما في يعقوب و أفرقهما في إسرائيل» (تك (٤٩: ٧) لكن يعقوب في حينه استنكر الفعلة ولكنه لم يخفِ تخوفه من النتائج علي نفسه وأسرته إذ قال لهما «كدرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الأرض... وأنا نفر قليل فيجتمعون علي ويضربونني فأبيد أنا وبيتي» (٣٠) فكر يعقوب كان مشغول بالخطر لا بالعناية التي وعده بها.

هذه هي الحادثة التي بينت ليعقوب أنه لم يكن في المكان الصحيح الذي أراده اللَّه له.

تك ٣٥

صورة مأساوية نراها تحدث في بيت أحد البطاركة الأوائل يعقوب وهو أحد أبطال الإيمان. السبب يكمن في ضعف المؤمن حينما يكون في مكان اللَّه لا يرضي عنه. لماذا حدثت هذه الكارثة ؟ لأن يعقوب كرب البيت لم يقم بدوره الصحيح مع أولاده وداخل بيته فلم يكن ليجد وقتًا ليوصي بيته ويعلم أولاده وصايا اللَّه التي ذكرها الرب لإبراهيم أن يوصي بها بيته وأولاده وأولاد أولاده ليوصوا بها أولادهم من بعدهم، فكانت النتيجة هذه المذبحة التي حدثت وزاد عليها أن بقية الأبناء قاموا لنهب الأملاك من شعب الأرض الذي قُتِلَ من كل ذكر. شمعون و لاوي اكتسبا هذا التعامل الشرس لعدم وجود من يكبح جماح شرهم الجسدي.

كان يعقوب في موقف لا يحسد عليه من الحزن والضيق لكنه لم يطلب شيئًا من الرب، إلا أن الرب تبارك اسمه يقوم بتصحيح موقف عبده قائلاً «قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع مذبحًا للَّه هناك الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك» (٣٥: ١) أخيرًا أصابت كلمة اللَّه ضمير عبده وحالاً قال لمن معه «اعزلوا الإلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وابدلوا ثيابكم» (٢) شعوره بهيبة محضر اللَّه دعاه لكي يوصي بيته أخيرًا بالقداسة ووجوب التطهر لتليق السكني في محضر اللَّه لذلك طرح يعقوب الأوثان و الأقراط الذهبية التي جمعها عند البطمة التي عند شكيم. بعد موقف يعقوب هذا نري فيه بركة الرب

تنساب دون مصارعة «اثمر و اكثر. أمة وجماعة أمة تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك. الأرض التي أعطيتها... لك أعطيها» (١١، ١٢) وحيث لا استحقاق ليعقوب في ذاته فقد أصابته هذه البركات بالنعمة.

يعيد الرب علي ذاكرة عبده أن اسمه تغير من يعقوب إلى إسرائيل لأنه فعليًا لم يتخذ هذا المقام الجديد بعد، أي «أمير اللَّه» ليسير بموجبه، وهكذا هيأ الرب عبده ليسمع اسم اللَّه الذي قد كان سأل عنه بعد المصارعة ولم يعطهِ الرب إجابة وقتها فقال اللَّه «أنا اللَّه القدير...» (١١). يذكر الوحي استكمالاً لمشهد رداءة الإنسان في الجسد بعد قصة قتل ذكور شعب الأرض، نقرأ عن رأوبين بكر يعقوب يتدنى في فِعْلة شائنة مع بلهة سرية أبيه في عدد (٢٢) ما تسبب له في فقدان مركز البكورية. «...لأنه هو البكر ولأجل تدنيسه فراش أبيه أُعطِيَت بكوريته لبني يوسف ابن إسرائيل فلم ينسب بكرًا» (١ أف ٥: ١، ٢).

نقرأ عن ثلاث شخصيات فَقَدَهم يعقوب في هذا الأصحاح: -

١- دبورة: مرضعة رفقة ويبدو أنه كان مرتبطًا بها وجدانيًا حيث رَبَّتهُ في صغره وهي رافقت بيته بعد موت رفقة.

٢- راحيل: زوجته المحبوبة إلى قلبه وهي كانت معطلاً في حياة يعقوب.

٣- إسحق: أبوه، وقد مات عن ١٨٠ سنة شيخًا شبعانًا وكان يعقوب يكن له ممنونية خاصة بسبب منحة البركة الأمر الذي كان بحسب مشيئة اللَّه.

هكذا شاء اللَّه ليعقوب أن ينفصل عن كل ما كان له قيمة في حياته حتي يكون عمليًا وفعليًا أمير اللَّه حيث نجد كيف أن اللَّه لم يفشل في عبده.

تك ٣٦

اتساقًا مع المبدأ الكتابي «ليس الروحاني أولاً بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني» يحدثنا الروح القدس في ذا الأصحاح عن جدول أنساب عيسو وعن ملوك وأمراء أدوم الذين ملكوا حتي قبل أن يقوم ملك من الشعب القديم وحيث ترك عيسو أرض كنعان إلى سعير عاش هناك مع نسله بسيوفهم. يليق بعد ذلك أن يتكلم الروح القدس في الأصحاح التالي عن النسل الروحاني المثَل في يوسف كرمز لرأس النسل الروحي حيث يمكننا أن نري المشابهات الكثيرة في حياة يوسف التي تشير في أغلبها لِما اجتاز فيه الرب يسوع في حياته علي الأرض نري فيها الآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها.

تك ٣٧

«وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان» (١) استوعب يعقوب أخيرًا فكر الرب فاستقر حيث أراد الرب اللَّه له بعد سنين من عدم الانتباه إلى مشيئته و فعل الإرادة الذاتية. الروح القدس يعود ليمسك بخيط النسل الروحي الذي سيأتي منه المسيح فيستفيض في سرد قصه يوسف التي يحلو التأمل فيها، و علي مدي ١٤ أصحاحًا نري

تفاصيل حياته تشير و ترمز لحياة وصفات الرب يسوع المسيح. يمكننا بالعبور السريع علي هذه القصة أن نشاهد حياة المسيح علي الأرض فيما يأتي: -

١- كان يوسف راعيًا للغنم و المسيح هو الراعي الصالح الحقيقي الذي وضع نفسه من أجل الخراف.

٢- اتصف يوسف بالفهم و الحكمة كونه يسلك بالقداسة العملية و المسيح هو القدوس.

٣- أبغضه أخوته وأسلموه حسدًا من أجل أحلامه ومن أجل كلامه وقبل هذا وذاك من أجل أنه أتي بنميمتهم إلى أبيه حيث نشهد عليه في شره كما كشف المسيح بنور قداسته شر رؤساء الكهنة والفريسيين والأشرار من الشعب.

٤- أرسله أبوه إرسالية المحبة ليفتقد إخوته الذين كانوا مُبتعدين عن مكانهم الأصلي لكنه صار يفتش عنهم حتي وجدهم.

٥- حين رأوه تآمروا عليه وباعوه بعشرين من الفضة كما بيع السيد بثلاثين من الفضة.

٦- أسلمه إخوته ليد الأمم (الإسماعيليين) كما فعلت الأمة اليهودية أسلمت مسياها ليد بيلاطس الأممي ليصلبه.

٧- وجد يوسف نفسه في السجن وسط مذنبين نظير المذنبين اللذين صُلِب المسيح وسطهما واحد منهم خَلُص والثاني أُدين.

٨- اللَّه أكرم يوسف فجعل فرعون يرفعه ويجعله رأسًا فوق كل شيء في مصر كذلك رَفَّعَ اللَّه المسيح وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان.

٩- يوسف تزوج بامرأة أممية والمسيح صارت الكنيسة عروسة التي اقتناها بدمه.

١٠- رد يوسف إخوته في نهاية المطاف بعدما قادهم للتوبة والاعتراف بأنهم أذنبوا إلى أخيهم وهكذا المسيح سيرد بقية من شعبه الأرضي في نهاية الأيام ويرد نفسها إليه.

١١- «أما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه» (٣) إلا نري في هذا محبة الآب للأبن الذي سر به كل السرور من أجل قداسته وحكمته وأعماله التي مجدت اللَّه علي الأرض ومع الفارق كان يوسف رمزًا باهتًا للمسيح فأبغضه إخوته خاصة عندما أعلن عن مجده العتيد من خلال حلمين حلمهما «فحسده إخوته» ومن أجل محبة أبيه له أيضًا أكثر من محبته لهم. تكرار الحلم يعني أن الأمر مؤكد الحدوث من اللَّه في وقته.

نهاية القصة نري فيها اجتماع الإخوة علي الكذب علي أباهم حيث قدموا له قميص ابنه الملون «تحقق، هل هذا قميص ابنك أم لا؟».

تك ٣٨

سجلاً مخزيًا عن يهوذا قَصد الروح القدس أن يسجله في الكتاب حيث لا يتستر عن سقطات حتي أعظم الشخصيات أو الأنبياء

أو حتي الرسل، لكي يعلمنا أنه مهما عظم دورهم لكن يثبت قول الكتاب «ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد». كما قصد أن يبين جمال يوسف علي خلفية رداءة يهوذا ليتبين عِظم الفارق بين ذاك الذي أتي من عند الآب معصومًا من الخطية وبين صنف الإنسان المكتوب عنه «ها أنا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي» وهذا الشخص الفريد هو الرب يسوع المسيح الذي يوسف ليس إلا رمزًا باهتًا له تبارك اسمه. كما يريد الروح القدس أيضًا من ذِكر هذه السقطات أن يبين غني نعمة اللَّه التي جعلت مجيء الرب يسوع في الجسد من خلال نسل يهوذا مُثبِتًا قدرة اللَّه في تغيير حياة أعظم الخطاة لخدمة مقاصده.

ها نحن نري يهوذا «نزل» أي انحدر، وكانت تقتاده شهواته ولم يجعل اعتبارًا لسِنِّه كما أنه «نظر» أي نظر لشهوة فتاة كنعانية ليست من شعب الرب ليتزوجها كما أنه «مال» أي استقر في مدينة التجارة وهي «كزيب» التي معناها كذب والخلاصة أن الاقتران بالعالم وكل شهواته ما هو إلا ضلال.

علي قدر ما استحلف إبراهيم عبده ألا يأخذ لأبنه زوجة من بنات كنعان علي قدر ما نري تدهور هذه الوصية تدريجيًا مع اختلاط الشعب بالأمم حولهم، فإننا نري هنا يهوذا نفسه يتزوج من ابنة رجل كنعاني وينجب منها ثلاثة أولاد، كما أنه أخذ لبكره زوجة من بين هؤلاء الأمم اسمها ثامار. بملاحظة معاني الأسماء التي لدينا نري أنها

في محيط المعاني العالمية حيث التجارة هي الحاكمة فإن «عدلام» تعني «تيهان»، «شوع» تعني «غني»، «حيرة» تعني «تفارق»، «كنعان» تعني «تجارة» وهكذا نجد يهوذا قد أُطيح به في تيهانه الروحي بتواجده وسط هذه الأجواء مما أدي إلى عدم تأثره بموت اثنين من أولاده كما ماتت زوجته فلم يشعر بشيء مما حدث حتي يفتش ويبحث عما ممكن أن يكون اللَّه متكلمًا إليه به تسرع يهوذا بالحكم علي ثامار «أخرجوها فتحرق» (٢٤) وذلك حينما قيل له «ها هي حبلي من الزنا» (٢٤)، لم يحركه ضميره للبحث داخل نفسه أولاً عن خطايا تخصه «من كان منكم بلا هذه الخطية فليرمها أولاً بالحجر» (يو ٨: ٧). فلم يفطن أنه هو من زنا معها فقال حينما واجهته بما أخذت منه حينما دخل عليها «هي أبر مني لأني لم أعطها لشيلة ابني» (٢٦) ولولا أنها أظهرت أمام الجميع أدلة إدانته وهي ما ارتهنته منه لكانت أحرقت بالفعل ولكنها أظهرت براءة ساحتها لأنها كانت صاحبة حق أن يهوذا يقيم لها نسلاً من ابنه بعد موت أخويه وإذ كان شيلة صغيرًا بعد، فقد تناسي يهوذا أن يتمم هذا الأمر لأنه حَسِب أنه ربما يموت أيضًا مثل أخويه وكأنه تشاءم من كنته ثامار.

يهوذا يمثل اليهود عمومًا فبعدما باع يوسف للإسماعيليين ذهب مع جميع إخوته ليضلوا أباهم يعقوب بإشاعة أن وحشًا رديئًا افترس أخاهم يوسف. هكذا اليهود الآن كتجارة فإن محور أفكارهم هو مصلحتهم ولو بالخداع وتحصيل الربح بكل وسيلة.

نلاحظ أن يهوذا ضمن خط النسل الذي يأتي فيه المسيح وهذا لا يستغرب علينا لأن النعمة ستدخل وتغير ما فيه من رداءة فيدخل ابناه من ثامار وهي كذلك (فارص وزارح) في سلسلة النسب المباركة المذكورة في متي ١ «ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار. وفارص ولد... ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعي المسيح» (متي ١: ٣ – ١٦).

تك ٣٩

من أروع الأصحاحات التي تبين الآلام من أجل البر التي عانى منها يوسف بسبب القداسة العملية التي كان يقتاد بها، ورغم شرور الناس فقد كان يوسف في خط مشيئة اللَّه فمكتوب «انزل» يوسف إلى مصر، فلم يكن نزوله باختياره لكن بإرادة اللَّه لأنه هناك خطة له في حياة يوسف، واللَّه كان معه فيها فكتب عنه «لكن ثبتت بمتانة قوسه» لذلك فكان كل ما يصنعه كان الرب ينجحه بيده.

الأصحاح السابق رأينا صورة الأمة بمعزل عن المسيح، أما هنا فلنا الصورة المشرقة في عبد اللَّه التقي المنفصل عن إخوته وقد تجلت أمام قصة يهوذا السوداوية كخلفية مظلمة، فليس عن غير قصد يورد الروح القدس القصتين متتاليتين.

«بيع يوسف عبدًا» إذ وصلت قافلة الإسماعيليين الذين اشتروا يوسف من إخوته إلى مصر، هناك باعوه إلى رئيس الشرط الذي يدعي

فوطيفار ولما كان يوسف أمينًا في القليل وكان سيده يري أن الرب معه وأنه بارك بيته بسبب يوسف، سلطه ذاك علي بيته واستأمنه على كل ماله.

أما امرأة فوطيفار التي كانت تتمتع بحرية في زمان الفراعنة الأمر الذي يظهر ضمن آثارهم ويبين حرية المرأة إلا أنها لم تحسن استخدامها، وتصرفها إزاء يوسف يمثل أسلوب الشيطان مع الإنسان كالحية (إذ كانت تغريه يوما فيوما لكي يضطجع معها) أسلوبه كالأسد (بالتخويف والإرهاب إذ طرح يوسف في السجن). السبب الوحيد الذي زج بيوسف في السجن هو أنه رفض أن يتجاوب مع الخطية المعروضة له بسهولة فلم يكن أحد هناك في البيت غيره وغير هذه المرأة ولكنه قال لها عن سيده فوطيفار «لم يمسك عني شيئًا غيرك لأنك امرأته. فكيف اصنع هذا الشر العظيم و أخطئ إلى اللَّه» (٩) لقد كان اللَّه دائمًا أمام مرأي قلب يوسف لأن الخطية لو كانت حدثت لكانت في عيني اللَّه قبل فوطيفار لكن يوسف التقي «احتمل أحزانًا متألمًا بالظلم» (١بط٢: ١٦). «فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذي كلمته به... أن غضبه حمي» (١٩) لنا أن ندرك مدي الحرج الذي وقع فيه فوطيفار فمن جهة هو كان يثق في عبده يوسف ثقة مطلقة ومن الجهة الأخرى كانت تقف أمامه زوجة قادرة علي حبك الاتهام وهي أخيرًا زوجته فلم يجد أمامه سبيلاً غير أن يلقي بعبده يوسف في السجن. كان توجه

يوسف في كل حياته كأنه يقول مع كاتب المزمور «جعلت الرب أمامي في كل حين لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز١٦: ٨).

تك ٤٠

بدء عمل اللَّه في طريق إكرام يوسف تمهيدًا للأمجاد التي بعد الآلام، فإن كان يوسف قد أُلقي في السجن ظلمًا لكن هذا كان من ترتيب اللَّه حيث انضم إليه في نفس السجن رئيس سقاة الفرعون ورئيس الخبازين حيث يبدو أنهما أذنبا إلى فرعون لسبب ما، ففي بيت فوطيفار خدم يوسف كعبد وفي بيت السجن كان يخدم كمذنب باتهام كاذب غير أن إيمانه في البيتين ظل بسيطًا ومسالمًا ولنا أن نري أثر هذا الإيمان في نفوس الذين تعاملوا معه وما كان لهم إيمان في انفسهم لكنهم قدروا الأمانة وعظموها إذ عهد رئيس بيت السجن ليوسف أمر العناية بخادمي الملك وكما كان في بيت فوطيفار أمينًا هكذا كان أيضًا في بيت السجن، وفي بيت السجن منحته النعمة فرصة الكشف عن أسرار حلمي رفيقي سجنه.

كان يوسف يرمز في هذا كله إلى المسيح فقد كان في بيت السجن مذنبان لكن وجود يوسف أو لنقل وجود المسيح فصل بين الاثنين وأعلن خلاص الواحد كما أعلن هلاك الآخر هكذا كان مع المسيح وهو علي الصليب فقد فصل في أمر اللصين اللذين كانا مصلوبين معه فواحد منهم كانت عنده أسباب تلمس بها الإيمان الذي وثق في

المصلوب معه حينما سمعه يخاطب الآب قائلاً «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعملون ماذا يفعلون» هكذا كان لرئيس السقاة ما كان لذلك اللص من بوادر إيمان لأنه هو الذي بادر ليقص حلمه علي يوسف ملقيًا برجائه علي النعمة. كان حلمه يتضمن أفراح ترمز إليها الكرمة التي أثمرت عنبًا و قد قام رئيس السقاة بعصره في كأس الملك (فرعون) كما كان يفعل. أما رئيس الخبازين فمكتوب عنه «فلما رأي رئيس الخبازين أنه عبر جيدًا قال ليوسف...» (١٦) و هذا كان من نوعية الناس التي ما كانت لتتحرك إلا برؤية العيان، الأمر الذي ينفي وجود الإيمان و لكن يرتكن إلى مجهود الإنسان و عمله في محاولة إرضاء اللَّه، الأمر الذي لا يقبله اللَّه لذلك كانت الطيور هي التي تأكله لأنه مكتوب أنه «بدون سفك دم لا يمكن إرضاؤه» فالرب لن يرضي إلا بالذبيحة الدموية التي يحكي عنها دم العنب، الذي قبله فرعون من يد الساقي.

هكذا رأي يوسف في رئيس السقاة رجاءً فأوصاه أنه حينما يكون له خير عند فرعون كما فسر له يوسف الحلم أن يذكره لدي فرعون لعله يخرج من هذا السجن إذ دخله ظلمًا كما و أنه كان مسروقًا أساسًا من أرض العبرانيين

تحقق لرئيس السقاة كل ما تكلم به يوسف و رفع فرعون رأس رئيس السقاة وأعاده لمكانه أمامه كما كان في الأول. كما رفع فرعون رأس رئيس الخبازين عنه و علقه كما فسر له يوسف الحلم تمامًا.

لكن رئيس السقاة نسي يوسف و لم يذكره لدي فرعون، الأمر الذي يدعونا ألا نتكل علي كتف بشر و إنما ننتظر الرب و الرب فقط لأنه لا يخزي طالبيه الذين يطلبونه بالحق.

تك ٤١

«وحدث من بعد سنتين» ماذا نتعلم عن اللَّه حين نقرأ هذه العبارة و عبارات أخري مثل «وحدث بعد هذه الأمور»؟ نتعلم أن اللَّه هو الذي يعد طريقنا و يقودنا فيه و أنه له في ذلك توقيتاته «فلكل شيء تحت السموات وقت» فلن يُقدم أو يُؤخر معاملات اللَّه أي شيء «أنا الرب في وقته أسرع به» كما لنا أن نلاحظ حكمة اللَّه المتناهية و هي تنسج كل خيوط مشيئته و خطته لحياتنا. نري أيضًا عدالة اللَّه إزاء واحد من أولاده حيث سمح له بالضيق علي قدر ما يحتمل، ثم يتمم له التعويض في وقته و بما يتناسب مع قدر الألم الذي احتمله.

«... أن فرعون رأي حلمًا» (١) بعد أن نسي رئيس السقاة يوسف و بعد مرور سنتين، اللَّه جعل فرعون يري حلمًا لم يعرف تفسيره كما لم تقدر سحرة مصر علي تعبيره. هنا نري حكمة اللَّه و سلطانه في أن يُعد ليوسف طريق إكرامه ليسمو به في نفس اليوم من محبس السجن ليرتقي عرش مصر و يكون متسلطًا علي كل أرضها و هي أعظم الممالك علي وجه كل الأرض حينها. يوسف مفسر الأحلام يرمز

للرب يسوع كما هو كاشف الأسرار «فالآن لينظر فرعون رجلاً بصيرًا و حكيمًا و يجعله علي أرض مصر» (٢٣)

انبهر فرعون من كلام يوسف الذي سمعه «فحسن الكلام في عيني فرعون...» (٣٧) حتي إنه لم يجد أمامه حكيمًا أفضل من يوسف حيث فسر الحلم و وضع لفرعون الحلول الكاملة كما أرشده بها اللَّه فما كان من فرعون إلا أن قال ليوسف «بعدما أعلمك اللَّه كل هذا ليس بصير و حكيم مثلك» (٢٩).

وهكذا من غير محاولة من جانب يوسف ارتفع من أعماق الألم و الغموض ليكون رئيس وزراء أعظم مملكة و هنا نشاهد يد اللَّه و عنايته من جهة، كما نجد من الجهة الأخرى رمزًا بديعًا لآلام ربنا يسوع المسيح و الأمجاد التي بعدها. أعطاه فرعون اسمًا جديدًا "صفنات فعنيح" الذي يعني "مخلص العالم" باللغة المصرية و يترجمه اليهود بالعبرية "كاشف الأسرار"، كما خلع خاتمه من يده و أعطاه إلى يوسف و ألبسه ثيابًا من بوص و طوق ذهب في عنقه و أركبه علي مركبته الثانية و إن كانت كل هذه الأشياء تعني أمورًا أساسية و جوهرية أعطي يوسف بها أن يكون متسلطًا علي كل أرض مصر لكنها ترمز إلى معانٍ روحية عظيمة و هي السلطان والبر العملي والبر الإلهي و المجد و العظمة، كما أمر أن يُنادي أمامه «اركعوا» و كل ما سبق يشير إلى رب يوسف الرب يسوع المسيح الذي سيرفعه اللَّه

و يعطيه اسمًا فوق كل اسم و ستجثو باسمه كل الركب حين ظهوره بالمجد ليملك مُلكه علي الأرض.

أخذ فرعون ليوسف أيضًا امرأة أجنبية اسمها «أسنات» و هي تشير بوضوح إلى الكنيسة التي اشتراها المسيح بدمه حينما لم تقبله خاصته التي جاء إليها و لذلك إذ تشاركه في آلامه الآن، فسوف يشركها هو في أمجاده عند ظهوره.

ولدت أسنات ليوسف قبل مجيء الجوع ابنين البكر سماه "منسى" لأن اللَّه أنساه تعبه و بيت أبيه، و الأصغر سماه "أفرايم" لأنه قال «اللَّه جعلني مثمرًا في أرض مذلتي» (٥٢)، و كأن يوسف و أسنات تمتعا بنتيجة اقترانهما قبل أن تأتي أزمنة الضيق و هذا ما سيحدث مع الكنيسة أيضًا حيث يدعي جميع الأعضاء و يكمل الجسد و ينضم إلى الرأس في السماء قبل تلك الضيقة العظيمة الآتية علي الأرض بتأملنا في مراحل و مشاهد حياة الألم التي عاشها يوسف يمكننا أن نري أنه في تخرجه من جامعة الآلام قد نال سبع جوائز: -

١- يوسف صار مفسر الأحلام: أو كاشف الأسرار بعدما كان يرويها و يحكيها.

٢- صار رجلاً حكيمًا و بصيرًا: لم يعد يوسف غلامًا لكنه صار رجلاً يتحلى بالبصيرة و الحكمة.

٣- يوسف يتسلط علي كل أرض مصر: أُعطي خاتم فرعون و ألُبس ثياب بوص بعد القميص المثلون و أعطي قلادة من ذهب.

٤- صار يوسف مخلص العالم: و هذا ما يعنيه الاسم الذي أعطاه إياه فرعون "صفنات فعنيح" أي مخلص العالم، و كما كان للسامرية الرب ككاشف الأسرار لكنها خرجت تدعوه مخلصًا.

٥- يوسف العريس: أسنات هي بنت كاهن الشمس صارت زوجة ليوسف و هو لم يأخذها من أبيها كاهن فوطي فارع لكن من فرعون و معناها "مخزونة"، و الكنيسة كانت مخزونة في فكر اللَّه منذ الأزل.

٦- يوسف المتسلط في بيته: قام بتسمية ابنه البكر "منسى" (لأن الرب أنساني)، كما سمي الأصغر "أفرايم" لأن الرب جعلني مثمرًا في أرض مذلتي. لم يسمي أولاده علي أسماء المصريين الوثنيين لكنه كان يشهد للَّه في معاني أسمي ابنيه.

٧- يوسف بائع القمح: لم يلتفت أحد ليوسف في وقت الشبع لكن الجميع ذهبوا إليه كقول فرعون «اذهبوا إلى يوسف و الذي يقول لكم افعلوا» (٥٥)، الرب يسوع كمن يرمز إليه يوسف و هو وحده من عنده الحنطة و هي كلمة اللَّه المُشبعة «هذا هو ابني الحبيب الذي سُررت به. له اسمعوا».

تك ٤٢

اتسعت رقعة المجاعة لتشمل الأرض التي كان يعقوب متغربًا فيها و هكذا نري الحزم في طريقها للسجود لحزمة يوسف في تحقيقٍ لأحلامه، فإن يعقوب أشار علي أولاده بالذهاب إلى مصر لأنه سمع أن بها قمحًا قائلاً لهم «انزلوا إلى مصر و اشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت» (٢) لكنه استبقي منهم بنيامين الأصغر و هو المتبقي له من راحيل حيث هو يعلم أن يوسف قد افترسه وحش رديء. و كان يوسف هو المتسلط علي الأرض... فأتي إخوة يوسف و سجدوا له بوجوههم إلى الأرض «٦». كثيرًا ما يستخدم اللَّه ظروف الضيق لإتمام مقاصده السامية و لخير الجميع، لكنه كالبار كانت له مخاصمة مع إخوة يوسف لأنهم غدروا بأخيهم الأمين و لم يستشعروا قسوة عملهم فلم يعترفوا به، لكن اللَّه يعرف كيفية التعامل مع ضمائرهم ليقف جانب الأمانة و يعاقب أنانيتهم ليطهرهم من الدنس ثم يرفع وجوههم. «و لما نظر يوسف إخوته عرفهم فتنكر لهم و تكلم معهم بجفاء» (٧) لا عن كبرياء بل ليتعامل مع ضمائرهم و لم تصعد عليه روح الانتقام. اتهمهم يوسف بأنهم جواسيس لكنهم في رد فعلهم لتبرير أنفسهم أمامه قالوا «نحن أمناء» (١١) هكذا دعاهم لينطقوا بما هم ليسوا عليه، و كالجراح الماهر فتح بالمشرط أول مراحل الجرح العميق لكي يُظهر ما في ضمائرهم فيقتادهم للاعتراف بما صنعوه بأخيهم و يندموا. و إذ هم علي السواء مذنبون إذ لم يكن أحد غير

يوسف ليدرك هذا الأمر فقد أودعهم الحبس جميعًا. لكن عاطفة الرحمة من أخ يخاف اللَّه كانت هي المحركة لتعامله معهم فأخرجهم بعد ثلاثة أيام من الحبس و اقترح أن يبقي منهم واحد في الحبس علي أن يذهب الباقون ليأتوا له بأخيهم حسب قصتهم له ليتحقق من صدقها فيعرف أنهم ليسوا جواسيس، كما أعطاهم قمحًا لبيوتهم. حينما طلب منهم أن يأتوا بأخيهم إليه كأنه أصاب قلوبهم ضجر لأنهم يعلمون ماذا يحسب بنيامين عند أبيهم «فقالوا بعضهم لبعض حقًا إننا مذنبون إلى أخينا الذي رأينا ضيقت نفسه لما استرحمنا و لم نسمع لذلك جاءت علينا هذه الضيقة» (٢١) و كان كلامهم علي مسمع من يوسف الذي كان يفهم كل ما يقولون و هم لم يعرفوا ذلك لأن الترجمان كان موجودًا بينهم. هكذا كما حاصرت خطية إخوة يوسف ضمائرهم من جهة يوسف و أبيهم و اللَّه و استعادتها بعد كبت طال لأكثر من عشرين سنة، هكذا سيحدث في آخر الأيام مع البقية الممثلة للأمة في التبكيت و التوبة و سوف ينوحون عليه و يندمون علي صلبهم مسياهم الآتي إليهم لخلاصهم و هم لم يعرفوه، هكذا قال يوسف لإخوته بعدما رد نفوسهم إذ اعترفوا و ندموا عن خطيتهم «لأنه لاستبقاء حياة أرسلني اللَّه قدامكم» (تك ٤٥: ٥). يوسف يعود ويرتفع فوق انفعالاته بعد بكائه عند رؤيته ندم إخوته و لكن بعيدًا عن ناظريهم، فأخذ شمعون و قيده أمام عيونهم و أعاد لكل منهم فضته في عدله، فقد قصد أن يعمق العمل الإلهي في قلوبهم. اكتشف واحد منهم

هذا الأمر حينما توقفوا في الطريق فتحيروا و قالوا: «ما هذا الذي صنعه اللَّه بنا» (٢٨) هي معاملات اللَّه لرد نفوسهم و رفع وجوههم، لكنهم حين وصلوا عند أبيهم يعقوب اكتشف الجميع ذات الأمر مما أدي إلى خوفهم و رعبهم مع يعقوب نفسه، و هذا تدريب وسط الضيقة لضمائرهم الموسومة و كانوا أبعد من أن يفهموا طرق الرب معهم حتي يعقوب نفسه لم يشغله من الأمر سوي الأحزان التي تراكمت عليه بسبب فقد يوسف و فقد شمعون و ضرورة أخذ بنيامين إلى مصر «صار كل هذا علي» (٣٦).

هذه الضربات الثقيلة التي زلزلت عواطفهم كانت السبيل إلى البركة و الفرح و تلك هي عاقبة الرب لخائفيه، فإن يوسف يُحب إخوته و هو لا يبغي وسط معاملاته الجافة معهم إلا أن يقودهم للتوبة و يرد نفوسهم، الأمر الذي له توقيته المعين لكمال العلاج.

تك ٤٣

يعقوب مثقلاً بضغط المجاعة يدخل ميدان الصراع لمواجهة المشكلة ويقترح علي أولاده الرجوع إلى مصر لأن القمح الذي أتوا به من مصر فرغ «ارجعوا اشتروا لنا قليلاً من الطعام» (٢)، «خذوا من أفخر جني الأرض.. انزلوا للرجل هدية» (١١) هنا لنا تطبيق اختباري لأسوأ ما نراه في قديس، الذي بقلبه الطبيعي يتهيب الاقتراب المباشر نحو المسيح وحينما يقترب فبفعل لذعات الجوع والعوز آخذًا معه هدية هي فضلة المجاعة لا يقدر بها أن يشتري إلا القليل من الطعام وما أقل ما يدريه

عن القلب المملوء بالعطف والإحسان اضطر يعقوب أن يرضخ لأبنائه وبعد معاناة كبيرة سلم بأن يعطيهم بنيامين وهو يعلم أن شمعون محبوس ويوسف مفقود فقال في يأسه «اللَّه القدير يعطيكم رحمة أمام الرجل... وانا إن عدمت الأولاد عدمتهم» (١٤). وصل الرجال إلى مصر ولما رأي يوسف أخاه بنيامين معهم قال للذي علي بيته «ادخل الرجال إلى البيت واذبح ذبيحة وهيئ لأن الرجال يأكلون معي عند الظهر» (١٦). الرجال مازالوا يخافون يوسف رغم أنه أمر الذي علي بيته أن يدخلهم إلى البيت ويعتني بهم وبحميرهم كما وأطلق شمعون من الحبس، فخافوا أن يدخلوا وظنوا أن يوسف يبتغي أن يهجم عليهم بسبب الفضة التي وجدوها في عدالهم، لكن بعدما طمأنهم الذي علي البيت دخلوا وابتدأوا يهيئون الهدية انتظارًا لعودة يوسف حتي يقدموها إليه.

جاء يوسف و لم يلتفت إلى الهدية لكنه بادر بسؤالهم عن سلامة أبيهم الشيخ و هل هو حي بعد، فردوا عليه بالإيجاب ثم خروا و سجدوا، و هذا يُعيد تذكيرهم بالحلم الذي سبق وحلمه يوسف و قصه عليهم، مما يزيد من تحرك ضمائرهم نحو خطيتهم إلى أخيهم. تحركت أحشاء يوسف نحو أخيه بنيامين و لم يقدر أن يضبط نفسه و انفرد بنفسه ليبكي ثم تجلد و غسل وجهه و رحب بهم لكنه ميز أخاهم عنهم أضعاف فيما وضع أمامه من أنصبة حين وزع عليهم الطعام. «و شربوا و رووا معه» (٣٤).

جدير بنا ملاحظة أن الرجل الموكل علي بيت يوسف الذي لم يذكر اسمه هو إشارة للروح القدس لأن أعماله تتجه بأفكارنا أنه علي علم بكل أمور يوسف كما أنه قال له «سلام لكم...ففضتكم وصلت إلى» (٢٣) أي أن يوسف سددها له من أمواله الخاصة وهذا يلفت أنظارنا إلى عمل الصليب حيث دفع فضة فدائنا على الصليب من دمائه إثباتًا للحب الذي ليس أعظم منه.

تك ٤٤

هذا الأصحاح يظهر لنا قمة آلام إخوة يوسف حيث ضيق عليهم وأحكم الحجة حتي يجبر ضمائرهم بالرجوع والاعتراف بخطيتهم وهو الأمر الذي يتماشى مع النظرة النبوية لشعب الرب الذي أيضًا سيضيق عليهم في آخر الأيام فيكتشفوا فداحة خطيتهم التي بها صلبوا رب المجد ويعترفوا نائحين عليه كنائح علي وحيد له، فقصة إخوة يوسف ما هي إلا رمز للبقية التقية للشعب في نهاية ضيقة يعقوب حيث يرد الرب نفوسهم ويقبلهم.

حبس يوسف شمعون ثلاثة أيام ثم أطلقه وهذا فيه اختبار الموت مع المسيح والقيامة معه وكان لابد من هذا الاختبار حتي يصير لهم شركة مع المسيح. بتصدر يهوذا المشهد بعدما اكتملت حلقة التضييق حينما اتهموا بسرقة الكاس الخاص بيوسف وهو الذي كان قد دبر أمر إخفاء الكاس في عدال بنيامين الصغير، فشقوا جميعًا ثيابهم لما ضبط الكاس في عدل بنيامين، ولما عادوا إلى يوسف لم يجدوا لنفسهم

تبريرًا إلا أن يقولوا «ماذا نقول لسيدي. بماذا نتكلم وبماذا نتبرر. اللَّه قد وجد إثم عبيدك» (١٦) قال يهوذا هذا الكلام ممثلاً لجميع إخوته ولأن ضميره الذي تنقي ذكره بأنه صاحب فكرة بيع يوسف، فيهوذا كتاجر ما كان يهمه إلا المصلحة المادية بصرف النظر عن مشاعر أخيه أو أبيه، كما أن يهوذا هو الذي ضمن بنيامين عند أبيه يعقوب. نري في هذا المشهد سجودهم الرابع أمام يوسف فمكتوب «ووقعوا أمامه علي الأرض» (١٤) والوصف هنا يبين كيف كانوا في تذلل حتي أنهم ألقوا بأنفسهم أمامه الأمر الذي يوضح وصولهم إلى نهاية أنفسهم أمام يوسف.

الشكر للَّه أن هذه التجربة الموجعة كانت قصيرة ولكن ما هي إلا ساعات بالقياس لما شربه يوسف من علقم لسنوات طويلة، وأعظم دليل علي انتهاء التجربة بنجاح أننا نري يهوذا يقدم نفسه بديلاً عن بنيامين فقال يوسف «ليمكث عبدك عوضًا عن الغلام عبدًا لسيدي» (٣٣). الواقع أن تغييرًا عظيمًا من اللَّه فعل فعله مع إخوة يوسف فأفسحت الأنانية القاسية والحسد الطريق لحب رقيق نحو أبيهم وعطف بالغ نحو أخيهم ابن راحيل. اللَّه في حكمته استخدم الضيقة لأجل التذكير بالذنب «حقًا إننا مذنبون إلى أخينا الذي رأينا ضيقة نفسه...لذلك جاءت علينا هذه الضيقة» (٤٢: ٢١) وأيضًا «اللَّه قد وجد إثم عبيدك» (١٦).

تك ٤٥

فاض مكيال المشاعر الأخوية المحبة التي ما كان يمكن ليوسف أن يحتمل كتمانها نحو أبيه وأخوته «فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدي جميع الواقفين عنده فصرخ أخرجوا كل إنسان عني» (١). «فأطلق صوته بالبكاء» (٢). فبعد ما أطمأن أن مشاعر إخوته تغيرت وتبدلت بالحب وقلوبهم قد تنقت بعد اعترافهم بخطيتهم وندمهم عليها من خلال ما أدخلهم فيه يوسف من ضيق مرير كان السبب الحقيقي في استقامة قلوبهم من نحو أبيهم ومن نحوه، لم يكن ممكنًا أن يظهر يوسف مشاعره ويكشف نفسه لإخوته في حضور المصريين الذي كان لهم بمثابة السيد المتسلط علي كل أرض مصر فلا يضطلعوا علي أسراره الخاصة بعلاقته بإخوته لكنهم علموا أن أمرًا جيدًا حدث مع يوسف «فسمع المصريون وسمع بيت فرعون» (٢). عرف يوسف حينئذ إخوته بنفسه «..أنا يوسف. أحي أبي بعد» ومن هول المفاجأة لهم يذكر الوحي «فلم يستطع إخوته أن يجيبوه لأنهم ارتاعوا منه» (٣). أفصح يوسف عن نفسه لإخوته» أنا يوسف أخوكم الذي بعتموه إلى مصر» (٤). إزاء هذه الحقيقة التي لا يعرفها عنهم إلا يوسف دخل اليقين لقلوبهم أنا هذا هو أخوهم الذي لم يروا وجهه منذ عشرين سنة، وكلمهم بقلب مشفق عليهم من الصدمة ومطمئنًا إياهم إن ما اقترفوه نحوه ليس سوي ترتيب اللَّه الذي يخرج من الشر الخير «والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا...لأنه لاستبقاء حياة أرسلني اللَّه قدامكم» (٥). فليس هم بشرهم ولكن هو اللَّه بحكمته «وقد

أرسلني اللَّه قدامكم ليجعل لكم بقية في الأرض ويستبقى لكم نجاة عظيمة» (٧). أو لاستمرار الحياة وهذا يأخذ أنظارنا إلى أواخر الأيام ومعاملات الرب مع البقية من اليهود التي لم تقع عليها الضربات ولكنها ستبقي محفوظة في الضيقة لتدخل للملك مع مسيحها الذي سبق ورفضته. «فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل اللَّه» (٨). ونذكر في هذا المجال كلام الرب الذي قال «أتيت ليكون لكم حياة وليكون لكم أفضل». «ثم وقع علي عنق بنيامين أخيه وبكي...وقبل جميع إخوته وبكي عليهم. وبعد ذلك تكلم إخوته معه» (١٤، ١٥».وبعد هذا اللقاء المؤثر بين يوسف وأخيه بنيامين وبعدما كاشفهم بما صنعوه معه ذهب عنهم الشك والرهبة منهم وسلموا بأن هذا الأمر الذي حسن في عينيه شجع يوسف بل قد أمره أن يرسل ليأتي بأبيه ويسكن مع كل إخوته وأعطاه عجلات لتسهيل الأمر عليهم لإحضار يعقوب وكل من له إلى أرض مصر حيث يوسف يملك. هكذا فعل يوسف وودع إخوته علي رجاء رؤيتهم عن قريب مع أبيه وقال لهم «لا تتغاضبوا في الطريق» (٢٤) فقد حسب أنه لابد أن يأخذهم التساؤل عم حدث لهم فيرجعوا لذكر ما فعلوه مع أخيهم ويلوم بعضهم بعضًا ما قد يؤدي إلى التغاضب بينهم. رجع إخوة يوسف إلى يعقوب أبيهم وأخبروه قائلين «يوسف حي بعد وهو متسلط علي كل أرض مصر» (٢٦) من هول المفاجأة المفرحة «جمد قلبه لأنه لم يصدقهم» (٢٦) لكنه لما أبصر العجلات التي أرسلها يوسف لتحمله مكتوب «فعاشت روح يعقوب

أبيهم» (٢٧) فقال «يوسف ابني حي بعد. اذهب وأراه قبل أن أموت» (٢٨) مكتوب في العهد الجديد «أرسل اللَّه ابنه إلى العالم ليخلص به العالم» تحقيقًا لعبارة «لاستبقاء حياة أرسلني اللَّه قدامكم».

تك ٤٦

هذا الأصحاح يكشف لنا عن يعقوب الجديد الذي يقابل يوسف ويقابل فرعون ويباركه ويبارك ابني يوسف ونري فيه شخصًا مختلفًا، إسرائيل الحقيقي الذي يأتمر بأوامر اللَّه «فارتحل إسرائيل وكل ما كان له وأتي إلى بئر سبع» (١) هناك توقف حيث له ذكري تاريخية في حياة إسحق أبيه الذي بني مذبحًا للرب حينما دعاه لعدم النزول إلى مصر. إسرائيل الآن سار حذرًا وتردد في استكمال رحلته لأنه لم يأخذ مصادقة الرب. «فكلم اللَّه إسرائيل في رؤي الليل... وأنا اللَّه إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر لأني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك... وأنا أصعدك أيضًا» (٢ – ٤) تشجع يعقوب وذهب إلى مصر هو وكل ما له، والروح القدس قصد أن يعدد بالأسماء أبناء يعقوب أي الخارجين من صلبه فقد كانوا سبعين شخصًا دخلوا مصر، وبحسب قصد اللَّه سيخرجون منه وعددهم يقارب المليونين فقصد اللَّه أن شعبه ينمو في أرض مصر ويكثر في مدة إقامتهم هناك التي كانت أربعمائة سنة وأيضًا لأن إثم الأموريين لم يكن قد كمل بعد. هذا كان تتميمًا كقول الرب لإبراهيم «اعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة... وبعد ذلك يخرجون

بأملاك جزيلة» (تك ١٥: ١٣- ١٤). جاسان هي المنطقة التي تتيح لبني إسرائيل عدم الاختلاط بالمصريين وبالتالي عدم تسرب العبادة الوثنية إليهم وكانت هذه البقعة من الأرض هي بحسب اختيار فرعون نفسه الذي كان يتمم مشيئة اللَّه. أعد يوسف لنفسه مركبة ليأتي أبوه إسرائيل وعند اللقاء وقع علي عنقه زمانًا وقال إسرائيل ليوسف «أموت الآن بعدما رأيت وجهك أنك حي بعد» (٢٠). جدير بنا ملاحظة حكمة يوسف الإدارية فقد أوصي إخوته بكلام يقولونه لفرعون وستكون طلبتهم محل نظر الملك واستجابته إذ كان قد وعد إخوة يوسف بأن يعطيهم خيرات أرض مصر وسوف تكون مقبولة من المصريين الذين يرون في رعاية الغنم رجسًا.

تك ٤٧

لم يخجل يوسف من إخوته قط ولا أظهر لهم أي مشاعر بغضة إزاء إساءتهم إليه من يوم أن ذهب لافتقادهم حينما أرسله أبوه إليهم لينظر سلامتهم، كما والآن أيضًا أمام فرعون هو يعتز بإخوته «وأخذ من جملة إخوته خمسة رجال وأوقفهم أمام فرعون» (٢). نري في هذا ما نعاينه الآن في عهد النعمة من إكرام الرب لنا الذي «لا يستحي أن يدعونا إخوة» فنحن مقبولون عند الآب لأننا في المسيح يسوع.

أدخل يوسف أباه يعقوب بكرامة أمام فرعون «وبارك يعقوب فرعون» (٧). فإن الأصغر يبارك الأكبر، فو إن كان يعقوب لغريبًا في هذه الأرض، يعد الأصغر من فرعون، ولكن في المقامات الروحية هو الأكبر

لذلك بارك فرعون مرتين ويشهد عن غربته في هذه الأرض حينما سأله فرعون عن كم هي سني حياته مجيبًا «أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة قليلة ورديـة» (٩). هكذا وصفها وشهد أمام فرعون أنه غريب في هذا العالم.

يشرح الروح القدس كيف بالحكمة أدار يوسف المجاعة لصالح فرعون بحنكة تجارية متميزة حتي أنه استمر احتياج مصر الشديد للقمح في شراء الأرض كلها للفرعون مقابل فضة ومواشي وأرض المصريين وحتي المصريين أنفسهم أشتراهم عبيدًا لفرعون يعملون الأرض علي أن يعطيهم البذار ليزرعوا الأرض ويعطوا الخمس لفرعون عند الحصاد ويبقوا الأربعة أخماس الباقية لهم بذارًا للحقل وطعامًا لهم ولأولادهم «فقالوا أحييتنا. ليتنا نجد نعمة في عيني سيدي فنكون عبيدًا لفرعون» (٢٥). وهكذا استبقي لفرعون الخمس في أيام الجوع كما كان الأمر في أيام الشبع «فجعلها يوسف فرضًا علي أرض مصر لهذا اليوم لفرعون الخمس» (٢٦). عاش يعقوب سبع عشرة سنة في أرض جاسان لم تنسه قط أرض أبائه و إذ شعر بقرب نهاية غربته أحضر يوسف ابنه واستحلفه قائلاً له: «لا تدفني في أرض مصر بل أضطجع مع آبائي فتحملني من مصر و تدفنني في مقبرتهم» (٢٩، ٣٠) فلما حلف له أنه يفعل حينئذ «فسجد إسرائيل علي رأس السرير» (٣١).

تك ٤٨

اقتربت أيام يعقوب من نهايتها وكان قد مرض فقيل ليوسف: «هوذا أبوك مريض» (١). شعر يوسف في نفسه أن مرض أبيه هو بداية النهاية قبل وفاته، فذهب إليه وأصطحب ابنيه منسي وأفرايم علي أن يباركهما يعقوب قبل وفاته «فتشدد إسرائيل وجلس علي السرير» (٢). تقوي يعقوب لما علم بقدوم يوسف وقال له «لم أكن أظن أني أري وجهك وهوذا اللَّه قد أراني نسلك أيضًا» (١١). إن يعقوب الواثق في قدرة الرب حتي نهاية حياته أفصح ليوسف «اللَّه القادر علي كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني وقال لي أنا أجعلك مثمرًا وأكثرك و أجعلك جمهورًا من الأمم وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك ملكًا أبديًا» (٤). هذه الكلمات هي خلاصة ما تعلمه يعقوب من اللَّه طوال حياة الغربة وبعد المعاملات التأديبية التي حولت يعقوب في النهاية إلى إسرائيل، فعلم مشيئة اللَّه من نحو نسله ورأي أن يودعها يوسف ابنه أيضًا.

رغم أن عيني يعقوب قد كلت عن النظر بسبب الشيخوخة إلا أن بصيرته الروحية كانت متنبهة لفعل مشيئة اللَّه. تذكر يعقوب مشهد خداع أبيه إسحق الذي شاخ وكلت عيناه أيضًا عن النظر فسلب البركة من عيسو أخيه وكان يعلم أن هذه متوافقة مع مشيئة اللَّه الذي قال لرفقة أمه «في بطنك أمتان... شعبان... وكبير يستعبد لصغير» (٢٥: ٢٣)، حين تذكر هذا تيقن من صحة ما كان يفعله حينما بارك بيمينه أفرايم الصغير و بيساره منسي البكر فقد كان يوسف قد قربهما إليه

البكر عند يمينه والصغير عند يساره، فاضطر يعقوب أن يعكس يديه ليتمم مشيئة اللَّه. ظن يوسف أن أباه قد أخطأ فرد عليه يعقوب إذ كان قد عمل بفطنة «علمت يا ابني» (١٩) فقد كان هذا بحسب فكر وقصد اللَّه «اللَّه الذي صار أمامه أبواي إبراهيم وإسحق. اللَّه الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك الغلامين» (١٥، ١٦) «فقدم أفرايم علي منسي» (٢٠).

تك ٤٩

سبع عشرة سنه قضاها يعقوب في مصر و الآن يري بعين الإيمان تاريخ الشعب لمستقبل بعيد فيدعو بنيه ليباركهم من خلال النبوة فيقول لهم بإرشاد الروح القدس أقوال و أحكام اللَّه من جهتهم و هو في ألم الذكري لتصرف رأوبين و قسوة شمعون و لاوي و انحراف دان.

«رأوبين أنت بكري قوتي و أول قدرتي...» (١-٤) بدأ يعقوب بأولاد ليئة ثم الجاريتين و أخيرًا بابني راحيل رأوبين باعتباره نتاج قدرة الطبيعة الساقطة قد خسر مكانة الأولوية فهو «فائرًا كالماء» مندفع في شهوانيته لا يعرف إزاءها استقرارًا «صعد علي مضجع أبيه». يعقوب يصف من هم علي غرار رأوبين المضروبين بلعنة التخلخل في القصد و الذبذبة في الهدف الممثلة في موقفه من يوسف ساعة الخطر، فهو كان يقصد فعلاً أن ينجي أخاه لكنه لم يكن جادًا و حازمًا فيما انتواه. رأوبين من الناحية التدبيرية يمثل إسرائيل في عنفوان الشباب واقفًا

علي أساس العهد الأول عهد المسئولية و إذا أفسد نفسه خسر امتياز الأولوية علي الآخرين فانتقلت البكورية بكل حقوقها إلى القادر وحده أن يصونها أي المسيح «يوسف» «شمعون و لاوي آلات ظلم سيوفهما...» (٥-٧) هنا نتبين القسوة و الظلم في ذينك الأخوين اللذان أرادا حفظ حقوقهما عن طريق قوة الطبيعة، و في ظروف الحادث لا نسمع من يعقوب سوي نغمة الأسي «كدر تماني» لكنه هنا يلعن التصرف ذاته «أقسمهما في يعقوب و أفرقهما في إسرائيل»، فيشوع لم يعين في التقسيم نصيبًا لشمعون بل كان نصيبه داخل نصيب بني يهوذا (يش ١٩: ١) غير أن النعمة الغافرة سوف تفسح مجالاً لهذا السبط فنراه بين الأسباط المضمونة سلامتهم في سفر الرؤية «رؤ ٧: ٧» و مكانًا في الملكوت الألفي

«حز ٤٨: ٢٤» لاوي و هو شريك لشمعون في تلك الفعلة الشنيعة تفرق في إسرائيل و لكن بطريقة مباركة فالنعمة افتُقدت بفضل موقفه الذي وقفه جميع بني لاوي في واقعة العجل الذهبي حين وضع كل واحد منهم سيفه علي فخده غير مبالين بأب أو أم أو أولاد أو إخوة «خر ٣٢، تث ٣٣». صحيح أن لاوي تفرق في إسرائيل و لكن لكي يحمل مهام الخدمة و أعباء القدس «عد ٣» و إن لم يكن لهم نصيب في الأرض فالرب صار نصيبهم «يش ١٣: ٣٣» «يهوذا إياك يحمد إخوتك...» (٨ – ١٢) في حادث يوسف لا نجد يهوذا يتبرع بشيء علي حساب أولاده كما فعل رأوبين إنما يقدم ذاته كفالة و ضمانة «تك

٤٣: ٩» «ليمكث عبدك عوضًا عن الغلام عبدًا لسيده و يصعد الغلام مع إخوته» (تك ٤٤: ٣٣). تحدث يعقوب أيضًا عن يهوذا كالأسد قائلاً «لا يزول قضيب من يهوذا ومشرع من بين رجليه حتي يأتي شيلون و له يكون خضوع الشعوب» (١٠) و الواقع أن الأحداث صارت جميعها في خط تتميم هذه النبوة فقد ظل هذا السبط محتفظًا بتملكه حتي و هو في السبي إلى أن صدر أمر من أغسطس قيصر أن يكتتب كل المسكونة، ففي الوقت الذي كان اليهود فيه عُرضة للذوبان في الإمبراطورية الرومانية و ضياع قوميتهم، في هذا الوقت بالذات ذهب يوسف و مريم إلى بيت لحم لفرصة الإكتتاب و يومئذ وُلد المسيح و هكذا جاء شيلون أي صانع السلام الذي سيكون خضوع شعوب الأرض كلها له في الملك الألفي «زبولون عند ساحل البحر يسكن...» (١٣) الشعب إذ لا يزال رافضًا لشيلون يحاول الترويح عن نفسه بالاختلاط بالأمم والتجارة معهم، خسروا مسيحهم و تودوا للعالم و نتيجة هذه المتاجرة نراها في يساكر.

«يساكر حمار جسيم رابض بين الحظائر...» (١٤، ١٥) في هذا السبط نجد الشعب القديم يأبي حمل النير الموضوع عليه من إلهه أي الطاعة و الخضوع فيُرتضي أن يكون دابة أحمال لحساب الأمم فغاصوا تحت ثقل ما يحملون و وقعوا بالتمام تحت مؤثرات الأمم. يساكر معناه أجرة أو مجازاة فاستحسن أن تكون أجرته هي الراحة و الأرض النَزِهة و هذا ما يسعي إليه إسرائيل في عدم الإيمان و هكذا جميع العائشين

بالعيان فالعالم لهم هو مكان راحة. بعد ذلك يأتي دور أبناء الجاريتين ففي أولاد ليئة رأينا إسرائيل الجامع عديم الإيمان حتي وقتنا الحاضر و إبتداء من أولاد الجاريتين نري خطوات نحو المستقبل و لكن علي طريق الشوك.

«دان يدين شعبه... حية علي الطريق أفعوانًا علي السبيل...» (١٦ – ١٨) هذه بداية لنهاية أخري حيث سيقعون فيها في شرك آخر. سوف يقوم بينهم مدعٍ جسور يريد أن يأخذ صورة المسيا ذاك هو الأثيم.

(٢تي ٢) و الملك (دا ١١). هذه الشخصية المُرعبة ستكون «حية علي الطريق و... يلسع عقبي الفرس و يسقط راكبه إلى الوراء». كناية عن الطابع الشيطاني الذي سوف تنطبع به هذه الشخصية البغيضة. الواقع أن سبط دان هو أول من أقام العبادة الوثنية في إسرائيل بوضعه تمثال ميخا في مدينة دان و غالب الظن أنه بسبب هذه الوثنية حُذف اسم سبط دان من قائمة المختومين في رؤ ٧ و لكن الرحمة ستأخذ طريقها إلى ذلك السبط فنجد له نصيبًا في الملك الألفي في أقصي الشمال أي أبعد الأسباط عن موقع القدس (مز ٤٨: ٢) «جاد يزحمه جيش و لكنه يزحم (أخيرًا) مؤخره» (١٩) هي سمات النظام الجديد، كفاح، هزيمة في الجولة الأولي، لكن النصرة مكفولة للجولة الأخيرة «من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي».

«أشير خبزه سمين و هو يعطي لذات ملوك» (٢٠). البركة ليست قاصرة علي تمتعه الشخصي بالسعادة ---- الخبز السمين بل

هو يُقدم كذلك للآخرين أطايب ملكية، و الخطوة التالية لهذا الشبع الروحي هي الحرية التي لم يكن الشعب قديمًا ليعرفها و يتذوقها تحت الناموس و التي نجدها في نفتالى.

«نتفالى أيله مسيبه يعطي أقوالاً حسنة» (٢١) هو مُشبه بأنثى الغزلان فقد تحرر حينئذ من الحرب و لم يعد هناك ما يخيفه. عبارة مُسَيَّبة تعني أنه حررها أخذهم و أطلقها من القيود فالمؤمن الحقيقي يتمتع بكل أنواع الحرية من الخطية أولاً ثم من الناموس و دخل إلى الحرية التي حررنا به المسيح و هكذا يقدر أن يعطي الأخرين «أقوالاً حسنة».

«يوسف غصن شجرة مثمرة... علي عين أغصان قد ارتفعت فوق حائط فمررته و اضطهدته أرباب السهام...» (٢٢ – ٢٦) هذه هي أسمي المراحل في نمو الحياة الروحية للمؤمن فالأغصان المُرتفعة تضربها الرياح و تستقبل رخات المطر لكنها لا تتبرم، إنما تقابلها بالثمار الغنية و هكذا لما اصطفت قوات الشر ضد الرب يسوع و صلبوه بأيدي أثمة مات هو بإرادته و بالقيامة صار الراعي و الصخر لكل المؤمنين به.

«بنيامين ذئب مفترس...» (٢٧) في سفر التكوين نري في بنيامين جانب الدينونة لأن «اللَّه نور» كما نري فيه في سفر التثنية جانب النعمة لأن «اللَّه محبة» فنقرأ عنه هناك «حبيب الرب يسكن لديه آمنًا» (تث ٣٣: ١٢). في حديث سابق مع يوسف بدأ يعقوب بوصاية ابنه بأن يدفنه مع آبائه (٣٧: ٢٩).

و هو الآن يختم أحاديث الحياة طالبًا من أبنائه مجتمعين الطلبة عينها (٢٩)، فبعد أن أخذ من يوسف كلمة وقسمًا أوقف الأنباء جميعًا أمام الالتزام عينه. الحياة جعلته حبيس مصر أما الموت فمركبة تحمله إلى كنعان، الموت أهم من الحياة لإسرائيل لأنه يربطه بإله آبائه و المواعيد كأن لسان حاله " نتغرب عن الجسد و نستوطن عند الرب. «فلما فرغ يعقوب من توصية بنيه ضم رجليه إلى السرير و أسلم الروح و انضم إلى قومه» (٢٢).

تك ٥٠

«في الإيمان مات هؤلاء أجمعون...» (عب ١١: ١٣) الإيمان هو في ارتباط القلب بأرض الموعد فإن يعقوب لم تستهوه أهرامات مصر التي تُخلد الموتى و لكنه يبتغي وطنًا أفضل أي سماويًا. يوسف أيضًا أوصي إخوته ليُصعدوا عظامه من أرض مصر و يدفنوها في أرض كنعان و ذلك حينما يتحقق قول الرب حينما يصعد شعبه من أرض مصر بعد أربعمائة سنة قضوها في العبودية لكنها كفلت لهم أن يتكاثروا.

اللَّه صاحب سلطان لأن يوسف يقول لإخوته «أنتم قصدتم بي شرًا لكن اللَّه قصد به خيرًا» (٢٠) فاللَّه هو المتحكم في الظروف من نحو يعقوب و بنيه و ما حدث ليوسف و كان يديرها بحكمة و قصد للخير و جعل الأشياء تعمل معًا للخير، الأمر الذي طمأن إخوة يوسف من جهته إذ حسبوا أن وجود أبيهم يعقوب علي قيد الحياة هو السبب في كبح جماح يوسف عن البطش بهم إزاء ما أخطأوا به

نحوه، لكن يوسف صاحب مشاعر صادقة و حانية و أمينة نحو أبيه و إخوته «لا تخافوا أنا أعولكم و أولادكم» (٢١) و هو بار في محبته لهم لذلك بكي حينما كاشفوه بمخاوفهم. إننا هنا أمام مشهد يوسف الإنسان فيه قدر كبير من ثمار التقوى و قوتها حيث نجد صلابة السير في طرق اللَّه فتاريخه لم يكن مجموعة سقوط و قيام بل سبيل نور أشرق في وضوح و هدوء و ثبات، فهو إناء استخدمه اللَّه لأنه استحسنه لأنه كان في قلبه و روحه طاعة للَّه. كما خلا تاريخه من الإشارة إلى المذبح و الخيمة كما مع آبائه فهو لا يُمثل حياة الاغتراب علي الأرض قدر ما يُمثل الميراث و الملكوت بعد الذل و الأمم.

نظير يعقوب كان قلب يوسف في كنعان فقال لإخوته «اللَّه سيفتقدكم فتُصعدون عظامي من هنا» و نظير آبائه «مات في الإيمان».